علم البديع

في

البلاغة العربية

المرحلة الثانية- الكورس الثاني

إعداد

أ. م. د. أيوب آدم رسول البرزنجي

1436هـ - 2014م

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنســان وعلمه البيان، وأصــلي وأســلم على خير خلق الله أجمعين، سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصــحبه الغر الميامين، ذلك النبي الذي أوتي جوامع الكلم فجاء بيانه أفصح بيان.

وبعد...

فهذه محاضرات في علم البلاغة العربية ألقيتها في قسم اللغة العربية، كلية التربية- شــقلاوة، بجامعة صــلاح الدين/ أربيل، وتناولت فيها عدة فنون بلاغية من علم البديع، راعياً فيها السهولة والوضوح ليكون في متناول الطلاب فهم ما جاء فيها واستيعابه.

أســأل الله ســبحانه وتعالى أن ينفعنا بها، وأن يجنبنا الزلل في القول العمل، وأن يرزقنا الصـواب والسـداد، وأن يمنحنا من فضـله العون والتوفيق والهداية، وأسأله أن يجعلها صدقة جارية، وذخيرة ليوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أ. م. د. أيوب آدم البرزنجي

مقدمة عن علم البديع

تعريف علم البديع:

البديع لغة:

الجديد المخترع، لا على مثال ســابق، ولا احتذاء متقدم، تقول بدع الشيــء وأبدعه، فهو مبدع، وفي التنزيل: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ...} (سورة الأحقاف: 9).

البديع اصطلاحاً:

هو علم يُعرف به وجوهُ تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة.

أي: أنّه علمٌ تابعٌ لعلمي (المعاني) و(البيان)؛ فبعد أداء حقّ المعاني في نظم الكلام، وحقّ البيان في التعبير عن المعنى الواحد بطرائق مختلفة في وضــوح الدَّلالة، يأتي علم البديع للقيام بوظيفة التحسين والتزيين من جهة الألفاظ والمعاني.

نشأة علم البديع وتطوّره:

وواضــع أصــول هذا العلم ومدوّن قواعده هو الخليفة أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنه 296 هجرية، وقد استقصى ما في الشعر من المحســنات وألف كتاباً ســماه (البديع) ذكر فيه ســبعة عشرــ نوعاً من أنواع البديع، ثم اقتفى أثره في عصرــه (قدامة بن جعفر الكاتب) فزاد عليها، ثم ألف فيه كثيرون (كأبي هلال العسكري)، وابن رشيق القيرواني، وصفي الدين الحلي، وابن حجة الحموي، حتى وصل عــدد المحسنات عند عبد الغني النابلسي في بديعته إلى مائة وستين نوعاً.

موضوعات علم البديع:

ينقسم علم البديع إلى نوعين من وجوه تحسين الكلام:

1- المحسنات البديعية اللفظية.

2- المحسنات البديعية المعنوية.

أمّا المحســـنات البديعية اللفظية، فالغاية منها تحســـين اللفظ، وإن حســـنت المعنى أحياناً تبعاً، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن.

وأمّا المحســـنات البديعية المعنوية، فهي التي يكون التحســـين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ وعلامتها أنه لو غير اللفظ بما يرادفه لم يتغير المحسن المذكور، فالغاية من هذا المحسنات تحسين المعنى.

المبحث الأول:

المحسنات البديعية اللفظية

ومن المحسنات اللفظية:

1- الجناس.

2- السجع.

3- التصريع.

4- الموازنة.

5- المماثلة.

6- لوزم ما لا يلزم.

7- ردّ العَجُز على الصدر.

1- الجناس.

ومن العلماء من يسـمي هذا الفن البديعي **تجنسـاً**، ومن يسـميه **مجانسـاً**، ومن يسميه **جناساً**، أسماء مختلفة والمسمى واحد.

الجناس لغة:

هو مصدر جانس الشيءُ الشيءَ: شاكله واتحد معه في الجنس.

الجناس اصطلاحاً:

هو أن تتَّفق اللفظتان في وجهٍ من الوجوه، ويختلفَ معناهما.

ويُشـترط في الجناس أن تكون اللفظتان من باب الحقيقة، وألا تكون إحداهما حقيقة والأخرى مجازاً؛ ولذلك لا يُعدّ من الجناس مثل قولك: (**ركبتُ حماراً ولقيتُ حماراً**)، وأنت تعني بالأولى (حماراً) على الحقيقة، وبالثانية (رجلاً غبيّاً)؛ لأن اللفظة الثانية مستعملة على المجاز.

أنواع الجناس:

ينقسم الجناس إلى قسمين كبيرين هما: **الجناس التّام** و**الجناس الناقص**.

1- الجناس التام:

وهو ما اتَّفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور:

1- نوع الحروف.

2- عدد الحروف.

3- ترتيب الحروف.

4- هيئة الحروف من حيث الحركات والسكنات.

- مع اختلاف المعنى.

وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعاً وأعلاها رتبةً.

والجناس التام بدوره ينقسـم ثلاثة أقسـام هي: **المماثل**، و**المسـتوفى**، و**جناس المركب**.

أ- الجناس المماثل:

وهو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد: **اسمين**، أو **فعلين**، أو **حرفين**.

فمن أمثلة الجناس التام المماثل بين (اسمين):

قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ **السَّـــاعَةُ** يُقْسِـــمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ **سَـــاعَةٍ** كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} (سورة الروم: 55).

فالجناس هنا بين اسمين مماثلين في كل شيء هما (**الساعة**) و (**ساعة**).

فالأول بمعنى (**القيامة**)، والثاني واحدة الساعات (**مطلق الوقت**).

وكقوله تعالى: {يَكَادُ سَـــنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ **بِالْأَبْصَـــارِ** * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي **الْأَبْصَارِ**} (سورة النـــور 43، 44).

فالجناس هنا بين اسمين مماثلين في كل شيء هما (**بِالْأَبْصَارِ**) و (**الْأَبْصَارِ**).

(**الْأَبْصَارِ**)، الأولى معناها (العيون) و(**الْأَبْصَارِ**) الثانية معناها (العقول).

وأنشدَ المدائني للخليل بن أحمد:

يا وَيْحَ قلبي من دواعي الهوى ... إذْ رحَـلَ الجيرانُ عندَ **الغُروب**

أتْبَعْتُهم طَرْفي وقدْ أمْعَنـوا[1] ... وفَيْضُ عيْنيَّ كفيْضِ **الغُروبْ**

بانـوا وفيهم حُـــرّةٌ طَـــفْلَةٌ ... تفْترُّ عن مكنونِ حَبِّ **الغُروبْ**

الغُرُوبُ **الأول**: مصـــدر غَرَبَ، بمعنى غروبُ الشـــمس، **والثاني**: جمْعُ غَرْب وهو الدلو العظيمة المملوءة، **والثالثُ**: جمع غرب وهو الوِهاد- (الأرض المنخفضة).

وقول أبي العلاء المعري:

مَعانِيكِ شَتّى والعبارَةُ واحِدٌ ... فطَرْفُكِ **مُغْتالٌ** وزَنْدُكِ **مُغْتال**

(**مغتال) الأول**: من اغتا له بمعنى أهلكه، **والثاني**: بمعنى الغيل بالفتح وهو الساعد الريان الممتلئ.

---

(1)- (أمعن) فلان تباعد.

فمن أمثلة الجناس التام المماثل بين (فعلين):

كقول أبي محمد الخازن:

والمعدمون من الإبداع قد كثروا ... وهم قليلون إن عُدوا وإن حصروا

قومٌ لَوَ أَنَّهمُوا ارتاضوا لمَا قرَضوا ... أَو أَنَّهم **شَعروا** بالنَّقصِ ما **شعرَوا**

فالجناس بين (**شعروا**) و(**شعروا**) الأولى بمعنى أحسوا، والثانية بمعنى لم يقولوا الشعر.

يقول: لو أن هؤلاء علموا بنقصهم لما جرأ واحد منهم على أن يقول شعرًا.

وكقول الشاعر:

يا إخوتي منذ بانت النُّجُب ... وجب الفؤاد وكان لا **يَجِبُ**

فارقتُكُم وَحَييتُ بَعدَكُمُ ... مَا هَكَذَا كَانَ الَّذِي **يَجِبُ**

فـــــ (**يجب**) في آخر البيت الأول من (**الوجيب**) وهو الارتجاف والاضـــطراب، و(**يجب**) في آخر البيت الثاني من (**الوجوب**) وهو اللزوم والثبوت.

فمن أمثلة الجناس التام المماثل بين (حرفين):

نحو قولك: «فلانٌ يعيشُ **بالقلمِ** الحرِّ الجريءِ، فتفتحُ لهُ أبوابُ النجاحِ **بِهِ**».

فالباءُ في (**بالقلمِ**) هيَ الداخلةُ على الآلةِ فتفيدُ معنى (**الاســتعانةِ**)، أي أنه يستعينُ بالقلم على العيشِ، والباءُ في (**به**) هي باءُ (**السببيةِ**)، بمعنى أنَّ أبوابَ النجاحِ تفتحُ لهُ بسببِ قلمه الحرِّ الجريءِ، ففي الباءين جناسٌ لتماثلهما لفظاً واختلافهما معنَى.

ومثل قولك:

وكقول الشاعر: «**قد** ينزل المطر شتاءً و**قد** ينزل صيفاً».

فلفظة (**قد**) الأولى (**للتكثير**) والأخرى (**للتقليل**)، لأن المطر يكثر نزوله شـــتاء ويقلّ صيفاً.

ونحو قولك أيضاً: «**مِن** الناس من يعملُ **من** شروق الشمسِ إلى ما بعد غروبها بساعات».

فلفظة (**من**) في (**من الناس**) تفيد معنى (**التبعيض**)، أي بعض الناس، ولفظة (**من**) في (**من شروق الشمس**) تفيد معنى (**الابتداء**)، أي ابتداء من شروق الشمس.

ب- الجناس المستوفى:

وهو ما كان ركناه أي لفظاه من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة:

أ- بأنْ يكون أحدُهما **اسماً** والآخرُ **فعلاً**:

ب- أو بأنْ يكونَ أحدُهما **حرفاً** والآخرُ **اسماً** أو **فعلاً**:

فمن الجناس المستوفى بين الاسمِ والفعلِ:

نحو: «ارعَ **الجارَ** ولو **جارَ**».

فـ «**الجارَ**» الأولُ اسم، و «**الجارُ**» الثاني فعلٌ.

ومن الجناس المستوفى بين الفعلِ والاسمِ:

كقول أبي تمام:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فإنَّهُ ... **يَحْيَا** لَدَى **يَحْيَى** بْنِ عَبْدِ الله

فـ «**يحيا**» الأولُ فعلٌ مضارعٌ، و«**يحيى**» الثاني اسمُ الممدوحِ.

كقول صانع مثلاً:

يَزِيدُ لَهُ أيَادٍ لاَ تُبَارَى[1] ... ويَسْبِقُ مَنْ رَجَاهُ لِمَا يُرِيدُ

يَزِيدُ عطاؤُهُ مَا جِئْتَ تَرْجُو ... نَدَاهُ[2] بِكُلِّ آوِنَةٍ يَزِيدُ

«**يَزِيدُ**» الأول اسم علم. و«**يزيد**» الثاني فعل مضارع.

ونحو قول الشاعر:

إنْ تُلقكَ الغُرْبةُ في معشرٍ[3] ..... قدْ أجمعوا فيكَ على بُغضهمْ

فدارِهِمْ ما دُمتَ في **دارِهِمْ** ... و**أرْضِهِمْ** ما دُمتَ في **أرضِهِمْ**

فـــ «**دارهمْ**» الأولى فعلُ أمرٍ من المدارةِ، و «**دارهمْ**» الثانيةِ اسـمٌ للبيتِ، و «**أرضهمْ**» الأولى فعلُ أمرٍ من الإرضاءِ، و «**أرضهمْ**» الثانية هِيَ الأرضُ اسمٌ.

---

(1)- تباري: تنافس.

(2)- الندى: بخار الماء يتكاثف في طبقات الجو الباردة في أثناء الليل.

(3)- معشر: كل جماعة أمرهم واحد.

ومن الجناس المستوفى بين الفعلِ والحرفِ:

قال الشاعر:

علا نجمه في عالم الشعر فجأة ... **على** أنه ما زال في الشعر شادياً[1].

فالجناس هنا بين «**علا**» الأولى وهي فعل بمعنى ارتفع، و«**على**» الثانية التي هي حرف جرٍ.

ومنه قال الشاعر:

ولو **أنْ** وصلاً عللوه بقربه ... لما **أنَّ** من حمل الصبابة[2] والجوى[3].

فالجناس هنا بين «**أن**» الأولى وهي حرف توكيد ونصب و «**أنَّ**» الثانية فعل ماض من الأنين.

ج- الجناس التركيب:

وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين: وهذا الجناس ثلاثة أنواع وهي:

1- المتشابه: وهو ما تشابه ركناه، أي الكلمة المفردة والأخرى المركبة لفظاً وخطاً.

قال البستيّ:

إذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ **ذَا هِبَة** ... فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ **ذَاهِبَة**

فالجناس بين «**ذا هبة**» وهي مركبة من «**ذا**» أي: صـــاحب و«**هبة**»: أي: هيبة أو هبة وعطية، وبين «**ذَاهِبَة**» وهي كلمة مفردة بمعنى: بائدة وفانية وذاهبة.

وكقول القاضي الفاضل:

عَضَّنا الدَّهْرُ **بِنَابِهْ** ... لَيْتَ مَا حَلَّ **بِنَا بِهْ**

---

(1)- شادياً: طالباً.

(2)- الصبابة: الشوق.

(3)- جَوَى: "اِشْـتَدَّ بِهِ الجَوَى": شِـدَّةُ العِشْـقِ وَمَا يُورِثُهُ مِنْ حُزْنٍ. صَـبَابَةٌ: "يَحْتَرِقُ قَلْبُهُ صَـبَابَةً": حَرَارَةُ الشَّـوْقِ وَمُكَابَدَتُهُ، رِقَّةُ الْحُبِّ وَالْهَوَى.

فالجناس بين «**بنابِه**» وهي كلمة مفردة بمعنى: سِــنَّه المعروف بالنَّاب. وبين «**بِنا به**» وهي كلمة مركبة من اللام حرف جرّ و«نا» ضمير، و«به» حرف وضمير متصل يعود على الدهر.

2- المفروق: وهو ما تشابه ركناه أي الكلمة المفردة، والآخر المركبة لفظاً لا خطاً.

قول أبي الفتح البستي:

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَــا ... مَ وَلاَ **جَامَ لنا**

مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِير الْجَا ... مِ لَوْ **جَامَلَنا**

فالجناس بين ولاَ «**جَامَ لنا**»: وهي كلمة مركبة من «**جام**» إناء للشراب من فضَّـةٍ أو نحوها، ومن الباء حرف جرّ و«نا» ضــمير، أي ليس لنا هذا الإناء، وبين لو «**جَامَلَنا**»: كلمة مفردة، أي: لو عامَلَنا بالجميل.

وكقول الحريري:

لاَ تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِـيدَةً ... مَا لَمْ تُبَالِغْ قَبْلُ فِي **تَهْذِيبِـها**

فَمَتَى عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ ... عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِساً **تَهْذِي بها**

فالجناس بين «**تَهْذِيبَــها**» وهي كلمة مفردة اسم بمعنى: تنقيحها وتخليصها مما يشــينها، وبين «**تَهْذِي بها**» وهي كلمة مركبة من «تهذي» الفعل بمعنى تكلم بغير معقول و«به» حرف الجر واسمه أي الضمير.

قال قاضي القضاة، تقي الدين بن الحسني الحنفي:

قُلتُ للعاذلِ[1] الملحِ على الدمعِ ... وإجرائِه على الخدِ نيــلا

سَلْ سبيلاً إلى النجاة ودَعْ دمعَ ... عُيُونِي تَجْرِي لَهُم **سَلْسَبيلا**

فالجناس بين «**سَــلْ ســبيلاً**» وهي كلمة مركبة من كلمتين «**سَــلْ**» الفعل بمعنى: اطلب أو ابتغ، و«**سبيلاً**» الاسم بمعنى: طريقاً، وبين «**سَلْسَبيلا**» وهي كلمة مفردة اسم بمعنى: عين في الجنة.

(1)- العاذل: الذي لم يبق له عذر صالح.

3- المرفو: وهو ما يكون فيه أحد الركنين كلمة، والآخر مركباً من كلمة وجزء من كلمة.

كقول الحريري:

وَالْمَكْرُ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لاَ تَأْتِهِ ... لِتَقْتَنِي السُّؤْدُدَ[1] وَالمَكْرُمَة

فالجناس في هذا البيت بين «**الْمَكْرُ مَهْمَا**» وهو مركب من كلمة وجزء من كلمة، هما لفظة «**المكر**» والميم والها من «**مهما**» وبين «**المكرمة**» وهي كلمة مفردة.

وكقول آخر:

هتف[2] الصبح بالدجى[3] فأسقينها ... خمرة تترك الحليم سفيها

لست أدري من رقة وصفاء ... هي في كأسهـــا أم الكأس فيها

فالجناس هنا بين كلمة «**سفيها**» وهي مفردة. وبين «**الكأس فيها**» وهو مركب من السين الأخير من «**الكأس**» وفي والها من «**فيها**».

وكقول الحريري:

فَلاَ تَلْهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وابْكِهِ ... بِدَمْعٍ يُحَاكِي الْمُزْنَ حَالَ مَصَابِهِ

وَمَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الْحِمَـامَ وَوَقْعَهُ ... وَرَوْعَةَ مَلْقَاهُ وَمَطْعَـمَ صَابِهِ[4]

فالجناس هنا بين كلمة «**مَصَابِهِ**» وهي مفردة، وبين «مَطْعَـمَ **صَابِهِ**» وهو مركب من الميم الأخير من «مَطْعَمَ» وكلمة «**صَابِهِ**» وهما متشابهان مختلفان معنى.

2- الجناس الناقص:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة[5] التي هي من شروط الجناس التام.

---

(1)- سُؤْدَدٌ: حافَظَ على سُؤْدَدِهِ: سِيادَتِهِ، هُوَ في سُؤْدَدٍ: في مَجْدٍ، عَظَمَةٍ.

(2)- هتف: صاح به.

(3)- الدجى: سواد الليل وظلمته.

(4)- حَالَ مَصَابِه: أي: حَال انصبابه، تقول: صَابَ المطر، إذا انصبّ. الحِمَام: الموت. ومَطْعَمَ صَابِه: أي: مَطْعَمَ شجرتِهِ المُرَّة، الصَّابُ: شَجَرٌ مُرٌّ لَهُ عُصَارَةٌ بيضاءُ كاللَّبَن بالغة المرارة، إذا أصابت العَيْنَ أَتْلَفَتْهَا.

(5)- الأمور الأربعة هي: 1- نوع الحروف. 2- عدد الحروف. 3- ترتيب الحروف. 4- هيئة الحروف من حيث الحركات والسكنات.

أ- فإن اختلف اللفظان في هيئة الحروف أي في الســكنات والحركات والنقط، فإن الجناس يأتي على نوعين: محرف، ومصحف.

1- فالجناس المحرف: هو ما اتفق ركناه أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها، واختلف في الحركات فقط.

قال رسول الله ﷺ:

«اللهم كما حَسَّنْتَ **خَلقي** حَسِنْ **خُلقي**».

وقع الاختلاف هنـا بين «**خَلقي**» و«**خُلقي**»؛ لأن الخـاء في الأول مفتوح، وفي الثاني مضموم.

قول ابن الفارض:

هَلاَّ **نَهَاكَ نُهَاكَ**[1] عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ ... لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ

وقع الاختلاف هنا بين «**نَهَاكَ**» و«**نُهَاكَ**»؛ لأن النون في الأول مفتوح، وفي الثاني مضموم.

وكقول الشاعر:

كيف لا أبغض **الصَباحَ** وفيه ... بان عني ذوو الوجوه **الصِباحِ**

فالجناس بين «**الصَـباح**» بفتح الصـاد المشـددة، و«**الصِـباح**» بكسرـ الصـاد المشددة، الأولى بمعنى وقت الصباح، والثانية بمعنى الوجوه المشرقة المضيئة، التي مفردها صبيح. «وبان عني» يعني: رحل.

2- فالجناس المصــحَّف: هو ما اتفق ركنا الجناس أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في النقط فقط.

قال الله تعالى: {والذي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ**يَسْقِينِ** * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ **يَشْفِينِ**}.

---

(1)- نَهَاكَ: ضدّ أمَرَك. نُهَاك: النُّهَى: العقل، والمعنى: هلاَّ زجرك عقلك عن لوم امْرِئٍ ...

فاللفظان «**يَسْــقِينِ**» و «**يَشْــفِينِ**» متفقان في عدد الحروف وترتيبها، ولكنهما يختلفان في النقط.

وكقول أبي فراس الحمداني:

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ **أَغْتَرِفْ**[1] ... وَبِفَضْلِ عِلْمِكَ **أَعْتَرِفْ**

فاللفظان «**أَغْتَرِفْ**» و «**أعترفْ**» متفقان في عدد الحروف وترتيبها، ولكنهما يختلفان في النقط.

ب- وإن اختلف اللفظان في أنواع الحروف فيشــترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد، وهذا الجناس يأتي على نوعين: جناس مضارع، وجناس لاحق.

1- جناس مضــارع: وهو ما كان فيه الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربة في المخرج.

قال تعالى: {وَهُمْ **يَنْهَوْنَ** عَنْهُ **وَيَنْأَوْنَ** عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}

فالجناس بين لفظي: «**يَنْهَوْنَ**» و «**يَنْأَوْنَ**» وذلك لتشــابه اللفظين في الحروف، واختلافهما في حرف واحد، والهاء والهمزة مخرجهما متقاربان.

2- جناس لاحق: وهو ما كان الحرفان فيه متباعدين في المخرج.

قال تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ **هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**}

فالجناس بين لفظي: «**هُمَزَةٍ**» و«**لُمَزَةٍ**» وذلك لتشــابه اللفظين في الحروف، واختلافهما في حرف واحد، والهاء واللام مخرجهما متباعدان.

قال تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا **تَقْهَرْ** * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا **تَنْهَرْ**}.

---

(1)- اغترق: اغترف الماء بيده.

فالجناس بين لفظي: «**تَقْهَرْ**» و «**تَنْهَرْ**» وذلك لتشابه اللفظين في الحروف، واختلافهما في حرف واحد، والقاف والنون مخرجهما متباعدان.

قال تعالى: {ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ **تَفْرَحُونَ** فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ **تَمْرَحُونَ**}.

فالجناس بين لفظي: «**تَفْرَحُونَ**» و «**تَمْرَحُونَ**» وذلك لتشابه اللفظين في الحروف، واختلافهما في حرف واحد، والفاء والميم مخرجهما متباعدان.

ج- وإن اختلف اللفظان في عدد الحروف سمي الجناس ناقصاً، وذلك لنقصان أحد اللفظين عن الآخر.

قال تعالى: {وَالْتَفَّتِ **السَّاقُ** بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ **الْمَسَاقُ**}

فالجناس بين لفظي: «**السَّاقُ**» و «**الْمَسَاقُ**» لعدم الاتفاق التام بين اللفظين في عدد الحروف، وذلك بزيادة حرف الميم في لفظة (المساق).

د- وإن اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمي (جناس القلب).

قول الرسول ﷺ:

«اللَّهُمَّ اسْتُرْ **عَوْراتِنَا** وَآمِنْ **رَوْعاتِنَا**».

فالجناس بين لفظي: «**عَوْراتِنَا**» و «**رَوْعاتِنَا**» لعدم الاتفاق التام بين اللفظين في ترتيب الحروف.

الرَّوْعة: وهو الخوف.

ومنه قول بعضهم: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَمْسَكَ مَا بَيْنَ **فَكَّيْهِ** وأَطْلَقَ مَا بَيْنَ **كَفَّيْهِ**».

فالجناس بين لفظي: «**فَكَّيْهِ**» و «**كَفَّيْهِ**» لعدم الاتفاق التام بين اللفظين في ترتيب الحروف.

قول الأحنف بن قيس:

حُسَامُكَ فِيه لِلأَحْبَابِ **فَتْحٌ** ... ورُمْحُكَ فِيهِ للأَعَدَاءِ **حَتْفُ**

فالجناس الناقص بين: «**فَتْحٌ**» و «**حَتْفُ**» حيث اتفق اللفظان في الحروف، واختلفا في ترتيبها.

هـــــ- ومما يلحق بالجناس الناقص ما يســمى بجناس (الاشــتقاق): وهو أن يجمع بين اللفظين المتجانسين الاشتقاق.

قال تعالى: {**فَأَقِمْ** وَجْهَكَ لِلدِّينِ **الْقَيِّمِ**}.

فالجناس بين «**أَقِمْ**» و«**الْقَيِّمِ**» وهما مشتقان من مادة واحدة هي (قوم).

وقد يكون بين اللفظين مشابهة، وهو يشبه جناس الاشتقاق، ولكنه ليس باشتقاق.

قال تعالى: {**قَالَ** إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ **الْقَالِينَ**}.

فالجناس بين «**قَالَ**» و«**الْقَالِينَ**» وهما متشــابهان في الحروف، ولكنها ليســا من أصــل اشــتقاقي واحد؛ فلفظ (قال) من مادة (قول)، ولفظ (القالين) جمع (القالي) وهو المبغض، وهو من مادة (قلاه قلّى) إذا أبغضه وهجر.

تمارين:

1 - بيّن أنواع الجناس في ما يأتي واشرحه:

1 - قال تعالى: {قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ} [الشعراء: 168.

2 - قال تعالى: {فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ} [الواقعة: 89].

3 - قال تعالى: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: 22].

4 - قال تعالى: {ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} [غافر: 75].

5 - البدعة شرك الشّرك.

6 - والحسن يظهر في بيتين رونقه ... بيت من الشّعر أو بيت من الشّعر

7 - لا تعرضنّ على الرّواة قصيدة ... ما لم تبالغ قبل في تهذيبها

فمتى عرضت الشعر غير مهذّب ... عدّوه منك وساوسا تهذي بها

8 - وسمّيته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

9 - هل لما فات من تلاق تلاف ... أم لشاك من الصّبابة شافي؟

10 - فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

11 - عضّنا الدهر بنابه ... ليت ما حلّ بنا به

12 - بيض الصفائح لاسود الصحائف في ... متونهنّ جلاء الشك والرّيب

13 - يا للغروب وما به من عبرة ... للمستهام وعبرة للرائي

14 - هلّا نهاك نهاك عن لوم امرئ ... لم يلف غير منعّم بشقاء

2- السجع

تعريف السجع:

السجع في اللغة: مشتق من سجع الحمامة، تقول: سجَعَت الحمامَةُ أو النَّاقةُ سَجْعاً، إذا رَدَّدَتْ صَوْتَها عَلى طريقةٍ واحدة.

قال ابن جِنِّي: سُمِّي سجعا لاشتباه أواخره، وتناسب فواصله، والجمع: سُجُوع.

والسَّجْعُ في الاصطلاح: هو تواطُؤُ الفاصلتين من النَّثر على حرف واحد.

وهو في النثر كالقافية في الشعر، ويسمى أيضاً عند البلاغيين: التسجيع.

والسجع فنٌّ بلاغي قديم؛ فقد ورد في كلام العرب في الجاهلية، وكان حضوره واضحاً في القرآن الكريم، وكلام النبي ﷺ، وكلام البلغاء والفصحاء على مرِّ الأزمان والعصور.

واختلف: هل يجوز أن يُقال: في فواصل القرآن أسجاعٌ أو لا؟

كقوله تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ} [الضحى: 9 - 10]

تقهر.. تنهر، هل يقال فيه أنه سجعٌ، أم أنه لا يجوز أن يطلق السجع على القرآن؟

ثَمَّ خلافٌ بين أهل البيان في ذلك:

القول الأول: رفض الإمام الباقلاني (ت 404هـ) أن يكون في القرآن سجع وردّ على من أثبتوه في القرآن.

القول الثاني: أجاز كل من أبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي والتنوخي وابن الأثير أن يكون في القرآن سجع.

الرأي الوسط والراجح: من الأدب المنع لقوله تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت:3] فسماه فواصل، فليس لنا أن نتجاوز عن ذلك، كما لا يجوز لنا استعمال الفاصلة في الشعر، كما قال السيوطي.

وأجمعوا أنه لا يقال في القرآن قوافي، هذا بالإجماع، لماذا؟ لأن الله تعالى نفى عنه الشعر، والقوافي من مستلزِمات الشعر، حينئذٍ لزم نفيها عن القرآن.

ومن أمثلة الســجع في **القرآن الكريم** قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر:1-7].

فقد انتهت الجُمل بحرف **الراء** (الْمُدَّثِّرُ، فَأَنْذِرْ، فَكَبِّرْ، فَطَهِّرْ، فَاهْجُرْ، تَسْتَكْثِرُ، فَاصْبِرْ)

ومن ذلك **قول النبي** ﷺ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَأَعْطِ مُمْسِكاً تلفاً.

فقد انتهت كل جملة بحرف **الفاء** (خلفاً، تلفاً).

ومن قولهم: الحرُّ إذَا وَعَدَ وَفَى، وإذا أَعَانَ كَفَى، وإذَا قَدَرَ عَفَا.

فقد انتهت جميع الجُمل بحرف **ألف** (وَفَى، كَفَى، عَفَا).

أنواع السجع:

ينقسـم السـجع باعتبار صِيغ فواصـله إلى أربعة أنواع: **مُرصّـع، مُطرَّف، مُتوازٍ، مشطور**.

1- السَّجَعُ المُرصَّعُ: وهو أن تتَّفق ألفاظ الفقرتين في الوزن الصَّرفي والحرف الأخير.

كقوله تعالى: {إِنَّ **الْأَبْرَارَ** لَفِي **نَعِيمٍ** * وَإِنَّ **الْفُجَّارَ** لَفِي **جَحِيمٍ**} (سورة الانفطار: 13-14).

التقابل في كلمات هَاتين الفِقْرتَيْن تقابُلُ اتّفاقٍ في الأوزان وفي الحرف الأخير:

إِنَّ – الْأَبْرَارَ – لَفِي – نَعِيمٍ.

وَإِنَّ – الْفُجَّارَ - لَفِي – جَحِيمٍ.

وكقوله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} (سورة الغاشية: 25-26)

التقابل في كلمات هَاتين الفِقْرتَيْن تقابُلُ اتّفاقٍ في الأوزان وفي الحرف الأخير:

إنّ - إِلَيْنَا - إِيَابَهُمْ - ثم.

إنَّ - عَلَيْنَا - حِسَابَهُمْ.

أمّا كلمة "ثُمَّ" فهي بمثابة المشترك بين الفقرتين.

وكقول الحريري: فَهُوَ يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهْ، ويَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهْ.

التقابل في كلمات هَاتين الفِقْرتَيْن تقابُلُ اتّفاقٍ في الأوزان وفي الحرف الأخير:

فهو: يَطْبَعُ - الأَسْجَاعَ - بِجَواهِرِ - لَفْظِهْ.
و: يَقْرَع - الأَسْمَاعَ - بزَواجرِ - وَعْظِهْ.

وكقول الهمذاني: إنَّ بعدَ الكدرِ صفْواً، وبعدَ المطرِ صحْواً.
التقابل في كلمات هَاتين الفِقْرتَيْن تقابُلُ اتّفاقِ في الأوزان وفي الحرف الأخير:
إنَّ: بعدَ - الكدَرِ - صفْواً.
و: بعدَ - المطَرِ - صحْواً.

وكقول ابن النبيه:
فحريق جمرة سيفه للمعتدي ... ورحيق خمرة سيبه للمعتفي[1]
التقابل في كلمات هَاتين الفِقْرتَيْن تقابُلُ اتّفاقِ في الأوزان وفي الحرف الأخير:
فحريق - جمرة - سيفه – للمعتدي.
ورحيق – خمرة – سيبه – للمعتفي.

2- السَّـجعُ المُطرَّفُ: هو اتفاق الفاصـلتين في حروف السـجع، واختلافهما في الصـيغة الصرفية.

كقول الله عزّ وجلّ {مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً}. (سـورة نوح: 13-14)
كلمتا: (**وَقَارا**) و (**أَطْوَارَا**) سـجع مطرَّف، مختلفتان في الوزن، متفقتان في الحرف الأخير.

وكقوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [النبأ: 6، 7].
فبين (**مِهَادًا**) و(**أَوْتَادًا**) سـجع مطرف؛ لأنهما على حرف واحد، ولكنّ الكلمتين ليستا على صيغة صرفية واحدة.

(1)- (السيب): الكرم والعطاء، (المعتفي): طالب المعروف.

وكقَوْلِ أحد البلغاء: الإِنْسَانُ بآدَابه، لاَ بِزِيِّهِ وَثِيَابِه.

فبين (**آدَابه**) و(**ثِيَابِه**) ســجع مطرف، مختلفتان في الوزن، متفقتان في الحرف الأخير.

ومن الأمثلة الشعرية قوله أبي تمام:

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثْرَتْ بِهِ يَدِي ... وَفَاضَ بِهِ ثَمْدِي وأَوْرَى بِهِ زَنْدِي[1]

ف بين (**يدي**) و (**زندي**) سجع مطرف، مختلفان وزنًا، متفقان رويًا.

3- السَّــجَعُ المتوازي: هو أن تتفق اللفظة الأخيرة من المقطع الأول، مع نظيرتها في المقطع الثاني في الوزن والحرف الأخير.

وكقوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ} [الواقعة: 1 - 3]

نجد السجع بتكرار حرف التاء المربوطة في نهاية كل آية هكذا، فلفظة (**الْوَاقِعَةُ**) ولفظة (**كَاذِبَةٌ**) ولفظة (**رَافِعَةٌ**) متفقات في الوزن والحرف الأخير.

وكقوله تعالى: {لَا أُقْسِــمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} [البلد: 1 - 5]

نجد السجع بتكرار حرف الدال في نهاية كل آية هكذا:

فلفظة (**الْبَلَدِ**) ولفظة (**الْبَلَدِ**) ولفظة (**وَلَدَ**) ولفظة (**كَبَدٍ**) ولفظة (**أَحَدٌ**) متفقات في الوزن والحرف الأخير.

وكقول الله عزّ وجلّ: {فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ}. (الغاشية: 13- 14).

كلمتا: (**مَرْفوعَة**) و (**مَّوْضُوعَةٌ**) متفقان في الوزن والحرف الأخير.

وكقول أبي منصور الثعالبي: الْحِقْدُ صَدَأُ الْقُلُوبْ، واللَّجَاجُ سَبَبُ الْحُروبْ[2].

---

(1)- (تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي) أي ما تأملته فيه قد تحقق و(أثرت): صارت ذات ثروة، و(الثمد) الماء القليل، و(أورى) صار ذا ورى أي: نار- اشتعل و(الزند): عود تقتدح به النار.

(2)- اللَّجَاج: التمادي في الخصومة.

كلمتا: (**القلوب**) و (**الحروب**) متفقتان في الوزن والحرف الأخير.

وقال أعرابي لرجُلٍ ســـألَ لَئيماً: نَزَلْتَ بِوَادٍ غَيْرِ مَمْطُورْ، وَفِنَاءٍ غَيْرِ مَعْمُورْ، وَرَجُلٍ غَيْرِ مَيْسُورْ، فَأَقْدِمْ بِنَدَمْ، أو ارْتَحِلْ بِعَدَمْ.

فكلمات: (**مَمْطُورْ**) و (**مَعْمُورْ**) و (**مَيْسُورْ**) متفقات في الوزن والحرف الأخير.

وكلمتا: (**بِنَدَمْ**) و (**بِعَدَمْ**) متفقتان في الوزن والحرف الأخير.

4- السَّجَعُ المشطور أو التشطير: وهو خاص بالشعر، وهو أن يكون في كل شطر من البيت قافيتان مختلفتان عن قافية الشطر الثاني.

كقول أبي تمام:

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ في اللَّهِ مُرْتَقِبِ[1]

فالشــطر الأول محتو على ســجعتين (**مُعْتَصِــمٍ**) و(**مُنْتَقِمٍ**) مبنيتين على الميم، والثاني محتو على سجعتين (**مُرْتَغِبٍ**) و(**مُرْتَقِبِ**) مبنيتين على الباء.

وكقول صفي الدين الحلي:

بكل منتصر للفتح منتظر ... وكل معتزم بالحق ملتزم

فالشــطر الأول محتو على ســجعتين (**منتصرــ**) و(**منتظر**) مبنيتين على الراي، والثاني محتو على سجعتين (**معتزم**) و(**ملتزم**) مبنيتين على الميم.

وكقول البوصيري في البردة:

كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ ... والبحر في كرمٍ والدهر في هِمَمٍ

فالشــطر الأول محتو على ســجعتين (**ترف**) و(**شرف**) مبنيتين على الفاء، والثاني محتو على سجعتين (**كرم**) و(**هِمَمٍ**) مبنيتين على الميم.

---

(1)- (مرتغب) أي: راغب، (مرتقب): يراقب الله في أفعاله وأقواله.

وقول ابن جابر الأندلسي:

يا أهل طيبة في مغناكم قمر ... يهدي إلى كل محمود من الطرق

كالغيث في كرمٍ والليث في حرم ... والبدر في أفقٍ والزهر في خلقٍ

فالشـطر الأول محتو على سـجعتين (**كرم**) و(**حرم**) مبنيتين على الميم، والثاني محتو على سجعتين (**أفق**) و(**خلق**) مبنيتين على القاف.

تمارين:

1 - بيّن السجع، ووضّح وجوه حسنه في ما يأتي:

1 – {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ} [الضحى: 9 – 10].

2 – {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ} [الفيل: 1 – 2].

3 – {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: 30 – 32].

4 - وقال أعرابي لرجل سـأل لئيما: نزلت بواد غير ممطور، وفناء غير معمور، ورجل غير مسرور، فأقم بندم، أو ارتحل بعدم.

5 - وقال (ﷺ): إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع.

6 - وقال الحريري: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

7 - وقال أبو الفضل الهمذاني: إنّ بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا.

8 - وقال أبو الفتح البستي: ليكن إقدامك توكلا، وإحجامك تأمّلا.

9 - حامي الحقيقة، محمود الخليقة ... مهديّ الطريقة نفّاع وضرّار

10 - ومكارم أوليتها متبرّعا ... وجرائم ألغيتها متورّعا

11 - بيض صنائعنا سود وقائعنا ... خضر مرابعنا حمر مواضينا

12 - وأفعاله بالرّاغبين كريمة ... وأمواله للطّالبين نهاب»

3- التصريع

تعريف التصريع:

التصريع لغة: هو مشتق من المصراع، وهو ما أُطلق على نصف البيت الشعري، والمصراعان: هما بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما بابا البيت.

التصريع في الاصطلاح: هو أن يتفق آخر جزء من صدر البيت مع آخر جزء من عَجُزِهِ في الوزن والإعراب والقافية.

أو هو اتفاقُ نهايةِ شطري البيتِ الأولِ في حرفٍ واحدٍ، وأحسنُ ما يكون في أول القصيدة، وقد يكون في أوسط القصيدة.

أو هو كل بيت يتساوى الجزءُ الأخيرُ من صدرهِ والجزءُ الأخيرُ من عَجُزِهِ في الوزن.

كقول امرئ القيس في مطلع قصيدته:

قِفا نبكِ، من ذِكرى حبيبٍ، **ومنزلِ** ... بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخولِ، **فَحَوْمَلِ**[1]

فنجد أن الكلمتين (**ومنزلِ**- **فَحَوْمَلِ**) قد اتفقتا في الحرف الأخير منهما، وهما نهايتا شطري البيت الأول.

كقول امرئ القيس:

ألا أيّها اللّيلُ الطويلُ ألا **انْجَلِي** ... بصُبْحٍ، وما الإِصْبَاحُ مِنكَ **بأمثَلِ**[2]

ونجد أن الكلمتين (**انْجَلِي**- **بأمثَلِ**) قد اتفقتا في الحرف الأخير منهما، وهما نهايتا شطري البيت الأول.

---

(1)- يقول: قفا وأسعداني وأعيناني، أو قف وأسعدني على البكاء عند تذكري حبيبًا فارقته ومنزلًا خرجت منه، وذلك المنزل أو ذلك الحبيب أو ذلك البكاء بمنقطع الرمل المعوج بين هذين الموضعين.

(2)- الانجلاء: الانكشاف، يقال: جلوته فانجلى أي: كشفته فانكشف. الأمثل: الأفضل، والمثلى الفضلى، والأماثل الأفاضل. يقول: قلت له ألا أيها الليل الطويل انكشف وتنحَّ بصبح، أي: ليزل

كقول امرئ القيس:

أفاطِمَ مهلًا بعضَ هذا **التَّدَلّلِ** ... وَإن كنتِ قد أزمعتِ صَرْمي **فأجملي**[1]

ونجد أن الكلمتين (**التَّدَلّلِ**- **فأجملي**) قد اتفقتا في الحرف الأخير منهما، وهما نهايتا شطري البيت الأول.

4- الموازنة

الموازنة: هي تســاوي الفاصِــلَتَيْنِ في الوزن من الفِقْرتين المقترنتين، مع اختلافهما في الحرف الأخير منهما.

كقوله تعالى "{وَمَا أَدْرَاكَ مَا **الطَّارِقُ** * النَّجْمُ **الثَّاقِبُ** * إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا **حَافِظٌ**} (سورة الطارق: 2- 4).

فلفظ (**الطَّارِقُ**) و(**الثَّاقِبُ**) و(**حَافِظٌ**) متماثلات في الزنة بدون تقفية.

ومثله قوله تعالى "{فَاصْبِرْ صَبْرًا **جَمِيلًا** * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ **بَعِيدًا** * وَنَرَاهُ **قَرِيبًا**} (سورة المعارج: 5- 6- 7)

فلفظ (**جَمِيلًا**) و(**بَعِيدًا**) و(**قَرِيبًا**) متماثلات في الزنة بدون تقفية.

كقول الله تعالى: {وَنَمَارِقُ **مَصْفُوفَةٌ** * وَزَرَابِيُّ **مَبْثُوثَةٌ**}. (الغاشية: 15- 17).

فقد انتهت الآية بكلمة (**مَصْــفُوفَةٌ**) والآية الثانية بكلمة (**مَبْثُوثَةٌ**) والكلمتان على وزن واحد، لكنهما مختلفان في الحرف الأخير.

وكقوله تعالى: {مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ **وِزْرًا** * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَــاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ **حِمْلًا**} [طه: 100، 101]

انتهت الآية بكلمة (**وِزْرًا**) والآية الثانية بكلمة (**حِمْلًا**) والكلمتان على وزن واحد، لكنهما مختلفان في الحرف الأخير.

---

(1)- مهلًا: أي رفقًا. الإدلال والتدليل: أي يثق الإنســان بحب غيره إياه فيؤذيه على حســب ثقته به، أزمعت الأمر وأزمعت عليه: وطّنت نفسيــ عليه. يقول: يا فاطمة دعي بعض دلالك وإن كنت وطّنت نفســك على فراقي فأجملي في الهجران، الصرم: يقال: صرمت الرجل أصرمه صرمًا إذا قطعت كلامه.

5- المماثلة

المماثلة: هي أن تتماثل الألفاظ أو بعضها في الزِنَةِ من غير تقفية.

ومعناها أن تأتي ألفاظٌ في الفقرة الأولى أو الشطر الأول من البيت، ثم يأتي ما يماثلها في الوزن في الفقرة الثانية أو الشطر الثاني.

وكقوله تعالى: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ **الْمَبْثُوثِ** * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ **الْمَنْفُوشِ**} [القارعة: 4، 5]

وقد انتهت الآية بكلمة (**الْمَبْثُوثِ**) والآية الثانية بكلمة (**الْمَنْفُوشِ**) والكلمتان على وزن واحد، لكنهما مختلفان في الحرف الأخير.

وكقوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُمَا **الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ** * وَهَدَيْنَاهُمَا **الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**} (سورة الصافات: 117- 118)

فكلمة (**الْكِتَابَ**) و(**الصِّرَاطَ**) على وزن واحد، وكذلك كلمة (**الْمُسْتَبِينَ**) و(**الْمُسْتَقِيمَ**)، ولكنها كلمات مختلفة في الحرف الأخير.

وكقول الشاعر:

هو الشمس قدراً والملوكُ **كواكبٌ** ... هو البحرُ جوداً والكرامُ **جداولُ**

فـ (**كواكبٌ**) على وزن (**جداولُ**) مع اختلاف في الحرف الأخير.

وكقول الطائي:

مَها **الوحش** إلا أنّ هاتا **أوانِسٌ** ... قَنا **الخطِّ** إلا أنّ تلْك **ذَوابِلُ**

فكلمة (**الوحش**) و(**الخطِّ**) على وزن واحد، وكذلك كلمة (**أوانِسٌ**) و(**ذَوابِلُ**)، ولكنها كلمات مختلفة في الحرف الأخير.

ومثله قول البحتري:

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِد فِيكَ **مَطْمَعاً** ... وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ **مَهْرَباً**

فكلمة (**مَطْمَعاً**) و(**مَهْرَباً**) على وزن واحد، ولكنهما مختلفتان في الحرف الأخير.

6- لزوم ما لا يلزم

تعريفُه: هو أنْ يجيءَ قبل حرفِ الرَّويِّ، أو ما في معناهُ من الفاصلةِ، بما ليس بلازمٍ في التّقفيةِ،

نحو قوله تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا **تَقْهَرْ** * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا **تَنْهَرْ**} [الضحى/9-11].

فقد جاءت الفاصـــلة في الآيتين على حرف واحد هو (**الراء**) في (**تَقْهَرْ**) و(**تَنْهَرْ**)، والتزم قبله بحرف آخر هو (الهاء).

وكقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم **مُّبْصِرُونَ** * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ **يُقْصِرُونَ**}.

إنّ المماثلة بين: (**مُبْصِرُــون**) و (**يُقْصِرُــون**) في الوزن وحرفي (الصّــاد والراء مع الواو والنون) من لزوم ما لا يلزم.

وكقول أبي العلاء المعرّي:

أرى الدنيا وما وصفت ببرٍّ ... إذا أغنت فقيراً **أرهقته**

إذا خشيت لشـرٍّ عجَّلته ... وإن رُجِـيتَ لخيرٍ **عوَّقته**

حياة كالحبالة ذات مكرٍ ... ونفس المرء صيدٌ **أعلقته**

فالشاعر قد التزم بجرفين هما (**القاف**) و(**التاء**) قبل حرف الروي (**الهاء**).

وكقول الشاعر مجير الدين بن تميم:

يا مُحرقاً بالنَّار وَجْــهَ محبِّـه ... مَهـلاً فإنَّ مَـدامِـــعي تُطفيهِ

أحرقْ بها جَسدي وكلّ جوارحي ... واحرصْ على قلبي فإنّك فيهِ

فالشاعر قد التزم بجرفين هما (**الفاء**) و(**الياء**) قبل حرف الروي (**الهاء**).

تمارين:

- بيّن لزوم ما لا يلزم واشرحه في ما يأتي:

1 – {وَالطُّورِ* وَكِتابٍ مَسْطُورٍ* فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ* وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ* وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ* وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [الطور: 1 – 6].

2 – {فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ* وَخَسَفَ الْقَمَرُ* وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ* يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ* كَلَّا لا وَزَرَ* إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ* يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ} [لقيامة: 7 – 13].

3 - يقولون في البستان للعين لذّة ... وفي الخمر والماء الذي غير آسن
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلّها ... ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

4 - أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

5 - لم يقدر الله تهذيبا لعالمنا ... فلا ترومنّ للأقوام تهذيبا
ولا تصدّق بما البرهان يبطله ... فتستفيد من التصديق تكذيبا

6 - إذا رضيت نفسي بميسور بلغة ... يحصّلها بالكدّ كفّي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلّها ... فكن يا زمان موعدي أو مواعدي

7- ردُّ العجزِ على الصَّدرِ

تعريفه في الاصـطلاح: هو عبارة عن كل كلام وجد في نصـفه الأخير لفظ يشـابه لفظاً موجوداً في الأول.

وهذان اللفظان المكرَّران في الصـــدر والعجز قد يكونان متماثلين في اللفظ والمعنى، أو بينهما تماثل في الاشـــتقاق أو ما يشـــابهه، أو بينهما جناس في اللفظ دون المعنى.

أولاً: في النثر:

1- **اللفظان المكرران،** وأحدهما في أول الفقرة والثاني في آخرها.

كقوله تعالى: {... وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ...} (سورة الأحزاب: 37)

فقد جاءت كلمة (**تَخْشَى**ـــ) في أول الآية وفي آخرها، والكلمتان متشـــابهتان في اللفظ والمعنى.

2- اللفظان المتجانسان، وهما المتفقان في اللفظ دون المعنى.

كقولهم: **سائل** اللَّئيمِ يرجعُ ودمُهُ **سائل**.

فكلمة (**سـائل**) في أول العبارة اسـم فاعل من الفعل (سـأل يسـأل)، أي: طلب، و(سائل) الثانية من الفعل (سال يسيل)، أي: الذي يسأل اللئيم يعود ودمه يسيل.

3- اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق مشبهه.

كقوله تعالى: {فَقُلْتُ **اسْتَغْفِرُوا** رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ **غَفَّارًا**} (سورة نوح: 10)

فقد جاءت كلمة (**اسْـتَغْفِرُوا**) في أول الآية، و(**غَفَّارًا**) في آخرها، وهما كلمتان بينهما اشتقاق.

كقوله تعالى: {... **وَأَحْسِنُوَاْ** إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ **الْمُحْسِنِينَ**} (195) سورة البقرة: 195)

فقد جاءت كلمة (**وَأَحْسِنُوَاْ**) في أول الآية، و(**الْمُحْسِنِينَ**) في آخرها، وهما كلمتان بينهما اشتقاق.

4- اللفظان اللذان يجمعهما شبه الاشتقاق:

كقوله تعالى: {**قَالَ** إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ **الْقَالِينَ**} (سورة الشعراء: 168)

فقد جاءت كلمة (**قَالَ**) في أول الآية، و(**الْقَالِينَ**) في آخرها، وهما كلمتان بينهما شبه الاشتقاق.

ثانياً: في الشعر:

1- اللفظان المكرران المتفقان لفظاً ومعنىً:

وكقول لديك الجن الحمصي:

سُكْرانِ سُكْرُ هوى وسكرُ مُدامَةٍ ... فمتى إفاقةُ مَنْ بهِ **سُكرانِ**

فقد جاءت كلمة (**سُـكْرانِ**) في أول البيت وفي آخره، والكلمتان متشـابهتان في اللفظ والمعنى.

2- اللفظان المتجانسان المتفقان لفظاً لا معنىً:

قال القاضي الأرّجاني:

دَعَانِي مِنْ مَلامِكُمَا سَفَاهاً ... فَدَاعِي الشَّوْقِ قَبْلَكُما **دَعَانِي**

فللفظان (**دَعَانِي** و**دَعَانِي**) في أول البيت وآخره اتفقا في اللفظ واختلفا في المعنى، إذ (**دَعَانِي**) الأول بمعنى اتركني، و(**دَعَانِي**) الثانية بمعنى طلبني.

3- اللفظان الملحقين بالمتجانسين للاشتقاق:

قال ابن أبي عُيينة:

فَدَعِ الوَعيدَ فما وعيدُكَ **ضائِرِي** ... أطَنينُ أجْنَحةِ الذُّبابِ **يَضيرُ**

الكلمتان (**ضائِرِي**) و(**يَضيرُ**) بمعنى واحد، يجمعها الاشتقاق فالأولى اسم فاعل والثانية فعل مضارع.

4- اللفظان الملحقين بالمتجانسين لشبه الاشتقاق:

قال الشاعر:

لعمري لقد كان **الثُّرَيَّا** مكانَه ... **ثراءً** فأضحى الآن مثواه في **الثَّرَى**

الكلمتان (**ثراءً**) و(**الثرى**) الأولى بمعنى الغنى والثروة، والثانية بمعنى التراب، وبينهما علقة شبه الاشتقاق.

تمارين:

- بيّن رد العجز على الصدر، واشرحه في ما يأتي:

1 – {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً} [نوح: 10].

2 – {قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ} [الشعراء: 168].

3 – {وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8].

4 - إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

5 - زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ... أبشر بطول سلامة يا مربع

6 - ذوائب سود كالعناقيد أرسلت ... فمن أجلها منّا النفوس ذوائب

7 - مشيناها خطى كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها

8 - فأجبتها إنّ المنيّة منهل ... لا بدّ أن أسقى بكأس المنهل

المبحث الثاني:

المحسنات البديعية المعنوية

وهو ما يرجع إلى تحســين المعنى أولاً وبالذات وإن كان فيه ما يفيد تحســين اللفظ أيضاً كما أن اللفظي كذلك.

ومن المحسنات المعنوية:

1- الطباق	2- التدبيج	3- إيهام التضاد	4- المقابلة
5- التورية	6- التوجيه	7- المشاكلة	8- حسن التعليل
9- المبالغة	10- اللّف والنشر	11- التقسيم	12- الاقتباس
13- التضمين	14- التلميح	15- العقد	16- الحلّ
17– الإرصاد	18- مراعاة النظير	19- تشابه الأطراف	20- التجريد
21- المذهب الكلامي	22- تأكيد المدح بما يشبه الذم		23- تأكيد الذم بما يشبه.

1- الطباق.

له أسماء كثيرة منها: المطابقة، التضاد، التطبيق، التكافؤ، المقاسمة.

تعريفه في الاصطلاح: **الجمع بين الشيء وضده في الكلام.**

وقد يقع الطباق بين اسمين، أو فعلين، أو حرفين، أم اسم وفعل، أو غير ذلك.

ومن أمثلة ذلك بين اسمين:

قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} (18) سورة الكهف

فقد طابق بين «**أَيْقَاظًا**» و«**رُقُودٌ**» وهما اسمان.

وكقوله تعالى: {وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ} (18) سورة الكهف
فقد طابق بين «**الْيَمِينِ**» و«**الشِّمَالِ**» وهما اسمان.

وكقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} (43) سورة الأحزاب
فقد طابق بين «**الظُّلُمَاتِ**» و«**النُّورِ**» وهما اسمان.

ومن أمثلة ذلك بين فعلين:

قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (26) سورة آل عمران
في الآية أكثر من طباق.
فقد طابق بين «**تُؤْتِي**» و«**تَنزِعُ**» وهما فعلان.
فقد طابق بين «**تُعِزُّ**» و«**تُذِلُّ**» وهما فعلان.

وكقول الرسول ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»
ففي هذا الحديث الشريف طباق بين «**فُتِحَتْ**» و«**غُلِّقَتْ**» وهما فعلان.

ومن أمثلة ذلك بين حرفين:

قوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} (286) سورة البقرة
فقد طابق بين «**لَهَا**» و«**عَلَيْهَا**» وهما حرفان.

ومن أمثلة ذلك بين اسم وفعل:

قوله تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} (122) سورة الأنعام
فقد طابق بين «**مَيْتًا**» وهو اسم وبين «**أَحْيَيْنَاهُ**» وهو فعل.

أنواع الطباق:

الطباق نوعان: طباق **إيجاب**، وطباق **سلب**.

1- طباق الإيجاب: وهو الإتيان بالكلمة وضدِّها، أي أن يقابل بين المعنيين بالتضاد.
قوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ **أَضْحَكَ** وَ**أَبْكَى** * وَأَنَّهُ هُوَ **أَمَاتَ** وَ**أَحْيَا**} (سورة النجم: 43- 44)
فالطباق بين كلمتي: «**أَضْحَكَ**» و«**أَبْكَى**» وبين كلمتي: «**أَمَاتَ**» و«**أَحْيَا**».

وكقول جرير: و**باسِطَ خيرٍ** فيكُمُ **بيمينِه** ... و**قابِضَ شرٍّ** عنكُمُ **بشِماليه**
فالطباق بين كلمتي: «**باسِـــطَ**» و«**قابِضَ**»، وبين كلمتي: «**خيرٍ**» و«**شرٍّ**»، وبين كلمتي: «**بيمينِه**» و«**بشِماليه**».
وكقول البحتري: وأمة كانَ **قُبْحُ الجَور يُسخطها** ... دهراً فأصبح **حُسنُ العدل يُرضيها**
فالطباق بين كلمتي: «**قُبْحُ**» و«**حُســنُ**»، وبين كلمتي: «**الجَور**» و«**العدل**»، وبين كلمتي: «**يُسخطها**» و«**يُرضيها**».

وكقول أبي الصــخر الهذلي: أما والَّذِي **أبكَى** و**أضــحكَ** والَّذِي ... أماتَ و**أحيَا** والَّذِي أمْرُه الأَمْرُ
فالطباق بين كلمتي: «**أَبْكَى**» و«**أَضْحَكَ**» وبين كلمتي: «**أَمَاتَ**» و«**أَحْيَا**».

2- طباق السَّــلب: وهو الإتيان بالمعنى وضــدِّه، عن طريق الإثبات والنفي، أو الأمر والنهي.
كقوله تعالى: {**تَعْلَمُ** مَا فِي نَفْسِي وَ**لاَ أَعْلَمُ** مَا فِي نَفْسِكَ} (116) سورة المائدة
فقد طابق بين الفعل المثبت «**تَعْلَمُ**» والفعل المنفي «**لاَ أَعْلَمُ**».

وكقوله تعالى: {**فَلَا تَخْشَوُا** النَّاسَ **وَاخْشَوْنِ**} (44) سورة المائدة
فقد طابق بين النهي «**لَا تَخْشَوُا**» والأمر «**اخْشَوْنِ**».
وقول عمرو بن شأس:
و**نُنْكِرُ**، إن شِئنَا، على النَّاسِ قَوْلَهُمْ ... وَ**لَا يُنْكرونَ** القَوْلَ حِينَ نَقولُ
فقد طابق بين الفعل المثبت «**نُنْكِرُ**» والفعل المنفي «**لَا يُنْكرونَ**».

وقول أبي الطيب:
ولقد **عرفت** و**ما عرفت** حقيقة ... ولقد جهلت وما جهلت خمولا

فقد طابق بين الفعل المثبت «**عرفت**» والفعل المنفي «**ما عرفت**»، وأيضـــاً طابق بين الفعل المثبت «**جهلت**» والفعل المنفي «**ما جهلت**».

تمرينات:

1 - بيّن مواضع الطباق في الأمثلة الآتية، ووضح نوعه في كل مثال:

- قال تعالى: {تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشـاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشـاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشـاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ} [آل عمران: 26].
- قال تعالى: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: 286].
- قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً} [البقرة: 22].
- قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ} [البقرة: 8 ، 9].

2- التدبيج

تعريفه لغة: التدبيج من الدبج: وهو النقش والتزيين.

تعريفه في الاصطلاح: هو أن يذكر في معنى المدح أو غيره من الألوان على جهة الكناية أو التورية.

فـالتـدبيج هو لونٌ من ألوان الطِّبـاق؛ ولكنّـه يختصُّ بـالألوان فقط، والألوان المقصـــود هي غير البياض والسَّـــواد لأنّهما متضـــادان، وبينهما طباق، ويُشـــترط أن تسـتعمل هذه الألوان في موطن الكناية أو التورية؛ فلو دلَّت تلك الألوان على حقيقتها فلا تُعَدُّ من التدبيج، كما يشـــترط تعدد الألوان، فلو اســـتعمل لون واحد فإنَّه لا يعدُّ تدبيجاً.

كقول أبي تمام في الرثاء:

تَرَدَّى ثِيابَ الْمَوْتِ **حُمْراً** فَما أَتَى ... لَها اللَّيْلُ إلاَّ وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ **خُضْرُ**[1]

(1)- وَمعنى الْبَيْت: أَنه ارتدى الثِّيَاب الملطخة بِالدَّمِ فَلم ينْقض يَوْم قَتله وَلم يدْخل فِي ليلته إِلَّا وَقد صَـــارَت الثِّيَاب خضرًا من سندس الْجنَّة.

فقد استخدم الشاعر لونين هما «**حُمْراً**» و«**خُضْرٌ**» على سبيل الكناية؛ فقد كنّى باللون الأحمر عن الموت في ســـاحة المعركة جهاداً وشـــجاعةً بعد أن تلطخت ثيابه بالدماء، وكنّى باللون الأخضرــ عن دخول الجنة، وقد تغيرت الثياب إلى الســـندس الأخضر.

وكقول الحريري:

فمذ ازوَرَّ المحبوب الأصفر، واغبرَّ العيشُ الأخضرُ، واسودَّ يومي الأبيضُ.

فقد ورّى باللون «**الأصـــفر**» عن الذهب، وعبرّ باللون «**الأخضرـــ**» عن العيش الرغيد، وباللون «**الأسود**» عن تغيرّ أحواله، وسوء عيشه.

3- إيهام التضاد

إيهام التضاد: وهو أن تتوهم التضاد بين لفظين وهما ليسا متضادين.

وكَقول دعبل بن على الْخُزَاعِيّ:

لَا تَعْجَبي يَا سَلْمُ من رَجُلٍ ... **ضَحِكَ** المَشِيبُ برأسِهِ **فَبَكَى**

فإن «**ضَحِكَ**» هنا من حيث المعنى ليس ضد الكلمة «**بَكَى**»، لأن ضحك المشيب يقصد به ظهور الشيب بوضوح فهو كناية عن كثرة الشيب، ولكن من حيث اللفظ يوهم بالمطابقة.

وكقول أبي تمام:

ما إنْ ترى الأحْسَابَ **بِيضاً** وُضَّحاً ... إلا بحيثُ تَرَى المنَايَا **سُودَا**.

فقد وصف الشاعر الأحساب بـــ «بِيضاً»، والمنايا بـــ «سُودَا»، والبيض عكس الســـود مما يُوحى بالطباق، ولكن عند النظر نجد أن بياض الأحســـاب مجاز يدل على النقاء والطهارة، وكذلك ســـود المنايا؛ فإنها مجاز يدل على شـــدة القتل في المعارك، فبين الكلمتين إذن إيهام تضاد.

4- المقابلة

المقابلة لغة: المواجهة. قال السـكاكي: تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان، إذا كانت مقابلة لِما أمامها.

المقابلة اصطلاحاً: وهي أن يُؤتى بمعيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب.

أو هي مجموعة كلمات ضد مجموعة كلمات أخرى في المعنى على التوالي.

الفرق بين الطباق والمقابلة:

1- أن الطباق لا يكون إلا بالأضـــداد، والمقابلة تكون بالأضـــداد وبغيرها، وإن كانت الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعاً.

2- أن الطباق لا يكون إلا بين ضـدين فقط، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد عن ذلك، وكلما كثر عددها كانت أوقع.

مثال ذلك:

قال تعالى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ} (216) سورة البقرة.

فقد جاء التركيب الأول مكوّناً من معنيين هما «**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**» ثم قابله بتركيب آخر مكوّن من «**وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ**»، والتركيبان متضادان؛ إذ «**تَكْرَهُواْ**» عكس «**تُحِبُّواْ**»، و«**خَيْرٌ**» عكس «**شَرٌّ**».

أنواع المقابلة:

المقابلة أنواع بحسب عدد المعاني المتضادة:

1- مقابلة معنيين بمعنيين:

مثال قوله تعالى: {فَلْيَضْـحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِـبُونَ} (82) سورة التوبة

قابل معنى: «**فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً**» بمعنى: «**وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً**».

ومثال قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} (57) سورة الإسراء

قابل معنى: «**وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ**» بمعنى: «**وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**».

قال رسول الله ﷺ: من **سرته حسنته**، **وساءته سيئته** فهو مؤمن.

قابل معنى: «**سرته حسنته**» بمعنى: «**ساءته سيئته**».

قال النابغة:

فتى تم فيه ما **يسرُّ صديقه** ... على أن فيه ما **يسوء الأعاديا**.

قابل معنى: «**يسرُّ صديقه**» بمعنى: «**يسوء الأعاديا**».

2- مقابلة ثلاث بثلاث:

قال تعالى: {**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ**} (157) سورة الأعراف

قابل بين «**يُحِلُّ**» و«**يُحَرِّمُ**»، وبين «**لَهُمُ**» و«**عَلَيْهِمُ**»، وبين «**الطَّيِّبَاتِ**» و«**الْخَبَآئِثَ**».

قال إبراهيم بن هلال الصابي: وأعد **لمحسنهم جنة وثواباً**، **ولمسيئهم ناراً وعقاباً**.

قابل بين «**لمحسنهم**» و«**لمسيئهم**»، وبين «**جنة**» و«**ناراً**»، وبين «**ثوابا**» و«**عقاباً**».

قال المتنبي:

فلا **الجود** يفني المال **والجود** مقبل ... ولا البخل يبقى المال والجد مدبر.

قابل بين «**الجود**» و«**البخل**»، وبين «**يفني**» و«**يبقى**»، وبين «**مقبل**» و«**مدبر**».

قال أبو دلامة:

ما **أحسن الدين والدنيا** إذا اجتمعا ... **وأقبح الكفر والإفلاس** بالرجل.

قابل بين «**أحسن**» و«**أقبح**»، وبين «**الدين**» و«**الكفر**»، وبين «**الدنيا**» و«**الإفلاس**».

3- مقابلة أربعة بأربعة:

قال تعالى: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} (سورة الليل: 5-10)

قابل بين «**أَعْطَى**» و«**بَخِلَ**»، وقابل بين «**اتَّقَى**» و«**اسْتَغْنَى**»، وقابل بين «**صَدَّقَ**» و«**كَذَّبَ**»، وقابل بين «**لِلْيُسْرَى**» و«**لِلْعُسْرَى**».

وكقول جرير: وباسِطَ خيرٍ فيكُمُ بيمينِه ... وقابِضَ شرٍّ عنكُمُ بشِماليه

قابل بين «**باسِطَ**» و«**قابِضَ**»، وقابل بين «**خيرٍ**» و«**شرٍّ**»، وقابل بين «**فيكُمُ**» و«**عنكُمُ**»، وقابل بين «**بيمينِه**» و«**بشِماليه**».

قال صفي الدين الحلي:

كان **الرضا بدنوي من خواطرهم** ... فصار **سخطي لبعدي عن جوارهم**

فقابل «**الرضا**» بـ «**السخط**»، و«**الدنو**» بـ «**البعد**»، ولفظة «**من**» بِـ «**عن**»، فإذا قلنا: إن من ضد عن، سلم له أربعة بأربعة، و«**خواطرهم**» بـ «**جوارهم**»، على مذهب من يرى أن المقابلة تجوز بالأضداد وبغيرها.

4- مقابلة خمسة بخمسة:

قال المتنبي:

أزُورُهم وسوادُ اللَّيْل يشفعُ لي ... وأنثني[1] وَبَيَاض الصُّبْح يغري بي

قابل بين «**أزورهم**» و«**أنثني**»، وقابل بين «**سواد**» و«**بياض**»، وقابل بين «**الليل**» و«**الصبح**»، وقابل بين «**يشفع**» و«**يغري**»، وقابل بين «**لي**» و«**بي**».

قال الشاعر:

فالصبح يَشْمت بي فيقبلُ ضَاحِكا ... والليلُ يَرثي لي فيدبر عَابِسا

قابل بين «**الصبح**» و«**الليلُ**»، وقابل بين «**يَشْمت**» و«**يَرثي**»، وقابل بين «**بي**» و«**لي**»، وقابل بين «**فيقبلُ**» و«**فيدبر**»، وقابل بين «**ضَاحِكا**» و«**عَابِسا**».

---

(1)- أَنثَ في الأمر: لان ولم يتشدَّد.

قال الشاعر:

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر ... وطائر تحت ذل الليل مكتتم

قابل «**واطئًا**» بـ «**طائر**»، لأن الواطئ هو الماشي على الأرض والطائر السائر في الهواء، و«**فوق**» بـــ «**تحت**»، و«**خد**» بـــ «**ذيل**»، لما بينهما من معنى العلو والسفل، و«**الصبح**» بـ «**الليل**»، و«**مشتهر**» بـ «**مكتتم**».

5- مقابلةُ ستةٍ بستةٍ.

قال عنترةُ العبسيُّ:

على رَأس عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ ... وَفي رِجْلِ حرّ قيد ذُلٍّ يَشينهُ

قابل «**على**» بـ «**في**»، و«**رأسِ**» بـ «**رِجْلِ**»، و«**عبدٍ**» بـ «**حرّ**»، و«**تاجُ**» بـ «**قيدُ**»، و«**عِزٍّ**» بـ «**ذُلٍّ**»، و«**يزينهُ**» بـ «**يَشينهُ**».

فلا يُعرف له إلا هذا البيت الذي ينسب إلى عنترة.

تمارين

1 - بيّن مواقع المقابلة في ما يأتي:

قال تعالى:

1. {لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ} [الحديد: 23].
2. {فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى} [الليل: 5 – 10].

وقال الشاعر:

3. يا أمّة كان قبح الجور يسخطها ... دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها
4. قابلتهم بالرضا والسّلم منشرحا ... ولّوا غضابا فوا حربي لغيظهمو
5. بواطئ فوق خدّ الصبح مشتهر ... وطائر تحت ذيل الليل مكتتم
6. أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي
7. حلو الفكاهة مرّ الجدّ قد مزجت ... بشدّة البأس منه رقّة الغزل«
8. فتى تمرّ فيه ما يسرّ صديقه ... على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا
9. ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفر والإفلاس في الرّجل!

5- التورية

تعريفُها لغةً: مصدرٌ، ورّيتُ الخبرَ توريةً: إذا سترتُه، وأظهرتُ غيره.

واصطلاحاً: هي أن يطلق لفظٌ له معنيان: قريب وبعيد، ويُراد البعيد.

أو: هي أن يذكُرَ المتكلمُ لفظاً مفرداً له معنيان؛ أحدهُما قريبٌ غيرُ مقصــودٍ ودلالةُ اللفظِ عليه ظاهرةٌ، والآخرُ بعيدٌ مقصــودٌ، ودلالةُ اللفظِ عليه خَفِيَّةٌ، فيتوهَّمُ السَّــامعُ: أنه يُريدُ المعنَى القريبَ، وهو إنَّما يُريدُ المعنى البعيدَ بقرينةٍ تشــيرُ إليه ولا تُظهرُه، وتسترُه عن غير المتيقظِ الفطِنِ.

وتُسَمّى أيضاً: الإِيهام، التوجيه، التخيل، المغالطة.

ومن ذلك قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا **جَرَحْتُمْ** بِالنَّهَارِ} (الأنعام: 60)

فلفظ: «**جَرَحْتُمْ**» في الآية الكريمة له معنيان؛ **أحدهما**: قريب ظاهر غير مراد، وهو إحداث تمزق في الجســد، **والثاني**: بعيد خفي المراد، وهو ارتكاب الذنوب واقتراف المعاصي.

ومثل ذلك قول سراج الدين الوراء:

أَصُونُ أَدِيمَ وَجْهِي عَنْ أُنَاس ... لِقَاءُ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الأَدِيبُ

وَرَبُّ الشِّعْرِ عِنْدهُمُ بَغِيضٌ ... وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمُ **حَبِيــــبُ**

فلفظ «**حبيب**» في البيت الثاني له معنيان؛ **أحدهما**: المحبوب وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن، **والثاني**: اســم أبي تمام، وهو حبيب بن أوس الطائي، وهذا هو المعنى البعيد الذي أراده الشاعر، وقد وَرَّى عنه بالمعنى القريب.

ومن ذلك قول أبي العلاء المعري:

وحَرْف **كَنُونٍ** تَحْتَ **رَاءٍ** وَلَمْ يَكُن ... بَدالٍ، يؤم الرسم غيرّه النّقط

فمن سمع هذا البيت توهم أنه يريد بـــ **راء** و**دال** حرفي الهجاء؛ لأنه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط، وهذا هنا هو المعنى **القريب المتبادر** أولًا إلى ذهن السامع، والمراد غيره وهو **المعنى البعيد** المورى عنه بالقريب؛ لأن مراده بالحرف **الناقة**، وبحرف النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها، وبراء اسم الفاعل من رأى

إذا ضرب الرئة، وبدال اسم الفاعل من دلا يدلو إذا رفق في السير، وبالرسم أثر الدار، وبالنقط المطر. ومعنى هذا البيت أن هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتيها ولم يرفق بها في السير فهو غير دال، وقد تقدم أن الدالي هو الرفيق ويؤم بها دارًا غَيَّر المطر رسمها. واجتماع هذه الأوصاف دليل على ضعف الناقة؛ لأنها لو كانت قوية لما احتاجت إلى ضرب رئتيها، وإلى الرفق بها مع شدة شوقه إلى ديار أحبابه، وذلك باعث على شدة السير.

واضح من الأمثلة السابقة أن التورية تكون من ثلاثة عناصر هي:

الأول: لفظ له معنيان.

الثاني: معنى قريب ويسمى المُوَرَّى به.

الثالث: معنى بعيد، ويسمى المُوَرَّى عنه.

قال المتنبي:

تَعَرَّضَ لي **السَحابُ** وَقَد قَفَلنا ... فَقُلتُ إِلَيكَ إِنَّ مَعي السَحابا

ففي لفظ «**السحاب**» الثانية استعارة، والمراد به الرجل الكريم؛ لأنه يجود بالمال كما يجود السحاب بالغيث، والقرينة قوله: «معي» وهي قرينة ظاهرة واضحة؛ لأن السحاب الذي في السماء لا يكون معه، وإنما معه الممدوح.

قال نصير الدين الحمامي:

أبياتُ شِعْرِكَ كالقصور ... ولا قصورَ بها يعوقُ

ومن العجائب لفظُها ... حُرٌّ ومعناها **رقيقُ**

فكلمة «**رقيقُ**» لها معنيان: الأول قريب متبادر إلى الذهن، وهو **العبد المملوك**، لأنه جاء في سياق كلمة «**حُرٌّ**»، والثاني بعيد وهو **اللطف السهل**، الذي يقصده الشاعر.

أقسام التورية:

تنقسم التورية إلى قسمين: مجرّدة، ومرشحة.

1- **التورية المجرّدة**: وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المُورّى به وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المُورّى عنه وهو المعنى البعيد.

قال تعالى: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ **رَبِّهِ** فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} (42) سورة يوسف

فكلمة «**رَبِّهِ**» لما معنيان: الأول القريب وهو الإله سبحانه وتعالى، والثاني البعيد وهو الملك وهو المراد، لم يذكر فيها لازم من لوازم المُورّى به وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المُورّى عنه وهو المعنى البعيد.

وكقول النبي ﷺ في خروجه إلى بدر، وقد سُـــئل: ممن أنتم؟ فلم يُرِدْ أن يعلم الســـائل، فقال: «من **ماء**»، وهذه العبارة لها معنيان: الأول المعنى القريب وهو: قبيلة من قبائل العرب كانت تســـمى (ماء)، والمعنى الثاني وهو: أنّا مخلوقين من ماء، وهو المعنى البعيد.

وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في الهجرة إلى المدينة بصحبة رسول الله ﷺ عندما ســـأله ســـائل: من هذا؟ فقال أبو بكر: «**هادٍ يهديني**»، فقوله هادٍ يهديني على معنيين: أحدهما المرشـــد في طريق الســـفر، وهو المعنى القريب المورّى به غير المقصـــود، والثاني هو: هادٍ يهديني إلى الإســـلام، وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد، في هذا المثال لم يذكر من لوازم هذا أي المعنى القريب ولا لوازم ذاك أي المعنى البعيد.

2- **التورية المرشّحة**: هي التي يذكر فيها بعض الصفات والخصائص التي تلائم المورى به (المعنى القريب).

كقول الشاعر صلاح الصفدي:

وصَاحِـب لمَّا أَتَاهُ الْغِنَـى ... تَاهَ ونَفْسُ الْمَرْءِ طَمَّاحَهْ

وَقيلَ: هَلْ أبْصَرْتَ مِنْهُ يداً ... تَشْكُرُها قُلْتُ ولاَ **رَاحَهْ**

كلمة: «**راحة**» لها معنيان: أحدهما المعنى القريب وهو راحة اليد، وهو المعنى الذي تستدعيهِ عبارة (يداً تشكرها) والآخر المعنى المقصود وهو راحة الجسم من التعب.

والتورية هنا مرشّحة لاقترانها بما يلائم المعنى القريب.

وكقول الشاعر:

أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنَّا ... حَسْبُكَ اللَّهُ **تَعَالَ**

كلمة «**تَعَالَ**» لها معنيان: المعنى القريب هو الثناء على الله بالعلوّ، وهو يلائم لفظ الجلالة (الله) والمعنى الآخر وهو الدعوة إلى الحضُور، وهو يلائم عبارة: (أيُّها المعرض عنّا).

وكقول الشاعر:

مُذْ هَمَّتْ من وَجْدِي في **خالِها** ... ولم أصِلْ منه إلى اللثْمِ

قالتْ: قِفُوا واستَمِعوا ما جَرَى ... خالي قد هامَ به عَمِّي

فلفظ التورية هنا «**خالها**» فإنها تحتمل خال النسب وهو المعنى القريب المورى به، وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشـيح وهو (العم)، وتحتمل أن تكون الشامة السوداء التي تظهر غالباً في الوجه وتكون علامة حسن، وهذا هو المعنى البعيد الخفي المورى عنه.

6- التوجيه

تعريفُه: هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين، بأن يكون أحدهما مدحاً والآخر ذمّاً.

وهو قريب من التورية، غير أن للتورية معنيين: قريب وبعيد، والبعيد هو المقصود، أما في التوجيه فلا يُرجَّحُ أحد المعنيين.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ **رَاعِنَا** وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْـمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (104) سورة البقرة

فيفهم من كلمة «**رَاعِنَا**» الذّم الذي أراد اليهود[1] للرسـول ﷺ، والمدح الذي قصده المسلمون حين رغبوا في أن يرعاهم الرسول الكريم .

ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «إذا لم **تَسْتَحِ** فاصنعْ ما شئتَ»

فإنه يحتمل المدح والذم فمعنى المدح: إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فاصنع ما شئتَ.

(1)- لأن هذه الكلمة شبه كلمة عبرانية يتسابون بها وهي راعينا.

ومعنى الذم: إذا لم يكن لك حياء يمنعك فاصنع ما شئتَ.

كقول بشار في خياط أعور اسمه عمرو:

خَاطَ لي عمروٌ قباءٌ ... ليتَ عينَيْهِ سَواءْ

قل لمن يعرف هذا ... أمـديحٌ أم هجاءْ

هل دعاء عليه بقوله «**ليتَ عينَيْهِ سَـواءْ**»، أكان يتمنى أن تكون العين الصـحيحة مثل العوراء (دعاء عليه)، أو أنه أراد أن تكون العين العوراء مثل الصحيحة (دعاء له)؟

7- الـمُشَـاكَلَة

المشَاكَلة في اللغة: المشابهة والمماثلة.

المشاكلة في الاصطلاح: هي أن تذكْرُ الشيءَ بلفظِ غيره لوقوعه في صحبته.

كقوله تعالى: {وَجَزَاء **سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ** مِّثْلُهَا} [الشورى: 40].

فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة، والأصل: وجزاء سيئة عقوبة مثلها.

وقوله تعالى: {**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**} [المائدة:116]

والأصل: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك، فالله تعالى لا تستعمل في حقه لفظة (النفس)، إلا إنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس.

وقوله تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ **فَاعْتَدُواْ** عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: 194].

إنّ مشـاكلة في لفظ «**فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ**» الاعتداء بمثله لا يُسَـمَّى في الأصـل اعتداءً، ولكنْ سـوَّغ هذا الإطلاق داعي المشـاكلة، وليُعْطيَ اللَّفْظُ معنى المماثلة في تطبيق العُقُوبَةِ دون زيادة، لأنّ معنى كلمة (اعتدى) في الأصـل تجاوز حُدُود الحقّ، ومن العدل أن يُقَابَلَ التجاوز مماثل له.

وقوله تعالى: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ **خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**} (54) سورة آل عمران

فـالمشـاكلـة في قولـه «**مَكَرَ**» والمراد العقـاب والردُّ على مكرهم؛ لأن المكر الحقيقي لا يجوز على الله تعالى، ولكنه ورد بهذا اللفظ لمجيئه في صحبة لفظ «**مَكَرُوا**»

8- حُسْنُ التعليلِ

تعريفه: هو أن يُنْكِرَ المتكلِّمُ صراحةً أو ضـمناً علّةَ الشيـءِ المعروفة، ويأتي بعلّة أدبية طريفة تناسبُ الغرضَ الذي يرمي إليه.

فحســن التعليل هو نوعٌ من التعليل الطريف الذي لا يتوقَّعه المخاطَب، وعادةً ما يبتعد فيه المتكلم عن العلل الحقيقة للأشــياء، ويأتي بعلل جديدة من باب الطرافة وحسن الاختراع.

ومن ذلك قول ابن الرومي:

أَما ذُكاءُ فَلمْ تَصْفَرَّ إذْ جَنَحَتْ ... ...إلا لِفُرْقَةِ ذَاكَ الْمَنْظَر الْحَسَن[1]

يقصدُ: أنَّ الشمسَ لم تصفرَّ عند الجنوحِ إلى المغيب للسببِ المعروفِ ولكنها (اصفرتْ مخافةَ أنْ تفارقَ وجهَ الممدوحِ).

ومثله قول الشاعر:

ما قصرَ الغَيْثُ عن مصرٍ وترْبتها ... طبعاً ولكنْ تعدَّاكم[2] من الخَجَلِ

ينكرُ هذا الشاعرُ: الأسبابَ الطبيعيةَ لقلةِ المطر بمصر، ويلتمسُ لذلك سبباً آخر: وهو (أنَّ المطرَ يخجلُ أنْ ينزلَ بأرضٍ يعمُّها فضــلُ الممدوحِ وجودُه) لأنهُ لا يســتطيعُ مباراتهِ في الجودِ والعطاءِ.

قال ابن رشيق القيرواني:

سألتُ الأرضَ لِمَ جُعِلَتْ مصلَّى ... ولِمَ كانت لنا طهراً وطيبَا

فقـالت غيـر ناطـقةٍ لأنِّـي ... حويتُ لكل إنسانٍ حبيبَا

فقد علل الشاعر سبب كون الأرض مسجداً وطهوراً للمصلين، بأنها قد حوت في بطنها حبيباً لكل إنسان، وهو تعليلٌ حسنٌ على غير ما يتوقع السامع.

---

(1)- (ذُكَاءُ): اسم من أسماء الشمس. (إذ جَنحت): أي إذْ جنحت للمغيب.

(2)- تعَدَّاكم: أي: تتَعَدّاكم بمعنى تتجاوزكم يخاطب ممدوحه.

تمرينات:

1 - إشرح الأبيات الآتية، مبيّنا حسن التعليل فيها وأقسامه:

- ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ... وإنّما رقصت من عدله طربا

- أرى بدر السماء يلوح حينا ... ويبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك لأنّه لمّا تبدّى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا

- استشعر الكتّاب فقدك سالفا ... وقضت بصحّة ذلك الأيام

فلذاك سوّدت الدّويّ كآبة ... أسفا عليك وشقّت الأقلام

- سبقت إليك من الحدائق وردة ... وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك إذ رأتك فجمّعت ... فمها إليك كطالب تقبيلا

- عيون تبر كأنّها سرقت ... سواد أحداقها من الغسق

فإن دجا ليلها بظلمته ... تضمّها خيفة من السّرق

- عداتي لهم فضل عليّ ومنّة ... فلا أذهب الرحمن عنّي الأعاديا

همو بحثوا عن زلّتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

- لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها ... ما كان يزداد طيبا ساعة السّحر

9- المبالغة

المبالغة في اللّغة: من بالغَ في الأمر مُبالغةً وبلاغاً، إذا اجتهد فيه وغالى.

المبالغةُ في الاصطلاح: هي أن يُدَّعى لو صفٍ بُلوغُهُ في الشِّدةِ أو الضعف حداً مستحيلاً، أو مستبعداً، لئلا يُظنّ أنه غير متناه في الشدة أو الضعف.

آراء العلماء فيها: للعلماء في المبالغة ثلاثة آراء:

1- الرفض مطلقا، وحجتهم أن خير الكلام ما خرج مخرج الحق وجاء على منهاج الصدق من غير إفراط ولا تفريط.

2- القبول مطلقا، وحجة أولئك قولهم (أن خير الشعر أكذبه)، و(أفضل الكلام ما بولغ فيه).

3- التوسـط بين الأمرين، فتقبل مع الحسـن إذا جرت على منهج الاعتدال، وهذا رأي جمهرة العلماء، ودليل ذلك وقوعها في التنزيل على ضروب مختلفة وترد إذا جاءت على جهة الإغراق والغلو، ويذم مستعملها.

أنواع المبالغةِ: تنحصرُ المبالغةُ في ثلاثة أنواع:

1- **التبليغ**: وهو أن تكون الصفة المبالغ فيها مقبولةً عقلاً وعادةً.

ومثال ذلك قول امرئ القيس:

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ... دِرَاكاً فَلَمْ يَنْضَحْ بمَاءٍ فَيُغْسَلِ

الشاعر وصف فرسه بأنه أدرك ثوراً وبقرةً وحشيةً في مضمار واحد، ولم يعرق، وهذا من المبالغة الممكنة التي تُقبل في العقل والعرف.

وكقول المتنبّي يصف فرسه:

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِه ... وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

يقول: إذا طَرَدْتُ بفرسِي وَحْشاً أَيَّ وَحْشٍ بَلَغَهُ فتمكَّنْتُ منه، فصَرَعْتُه، وأَنْزِلُ عنه بعد ذلك، فأَجدُه مثْلَهُ حينَ أَرْكَبُه، أي: لم يَلْحَقْهُ التّعَبُ وَلَمْ يَكِلَّ، لقُوَّتِهِ وعِزَّةِ نفسه.

وكقول الشاعر:

رَهَنْتُ يَدِي بالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ برِّه ... وَمَا فَوْقَ شُكْرِي للشكُور مَزِيدُ

وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ ... ولَكِنَّ مَالاً يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

بالَغَ فادّعَى أنَّه قَدَّمَ غَايَةَ ما يَسْتَطِيعُ مِنْ شُكْر، وإِنْ كان ما قدّمَهُ لا يُسَاوِي مَا نَالَ من ممدوحه من برّ.

2- **الإغراق**: فهو المبالغة بادعاء ما هو ممكن عقلاً، ولكنّه مستحيل في العادة.

قال عَمْرو بْنُ الأَيْهَم التَّغْلِبي:

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ... ونُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالاَ

فإكرامهم للجار مدة إقامتهم بينهم من الأخلاق الحميدة، ومدّه بالكرم عند رحيله وجعل هذا الكرم يتبعه ويشمله حيث كان وفي كل مكان يذهب إليه هو الإغراق. وهذا أمر ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلاً.

وكقول ابن الرّومي يذمّ بخيلاً ببخله:

لَوْ أنَّ قَصْرَكَ يَا ابْنَ يُوسُفَ مُمْتَلٍ ... إِبَراً يَضِيقُ بِهَا فِنَاءُ الْمَنْزِلِ

وَأَتَاكَ يُوسُــفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً ... لِيَخِيطَ قَدَّ قَمِيصِهِ لَمْ تَفْعَلِ

الشاعر يصف ابن يو سف بأخل البخلاء، لأن إن طلب منه أبوه إبراً لا يعطيه إبراً واحداً مع أنه وإن كان قصره مُمْتَلٍ إبراً.

2- **الغُلُوّ**: وهو ادعاء المستحيل الذي لا يقبل في العقل والعادة.

قال أبو نواس:

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنَّهُ ... لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

فقد وصف الممدوح بالشجاعة، وبالغ في الصفة بذكره أنّ هيبته قد أخافت أهل الشرك، وأخافت النُّطف التي لم تخلق بعد، وهذه المبالغة لا يمكن قبولها عقلاً وعادةً.

وكقول أبي نواس:

فلما شربناها ودب دبيبها ... إلى موضع الأسرار قلت لها قفي

مخافة أن يسطو عليَّ شعاعها ... فيطلع ندماني على سري الخفي

قالوا: إن سطوة شعاع الخمر عليه، بحيث يصير جسمه شفّافاً يظهر لنديمه ما في باطنه لا يمكن عقلاً ولا عادة.

10- اللّف والنشر

تعرف اللف لغة: هو طيُّ الشيء، من طوى الصحيفة يطويها، وهو عكس النشر.

تعريفه في الاصطلاح: هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثمّ ذكر ما لكل واحدٍ من غير تعيين، ثِقَةً بأن السامعَ يرُدُّه إليه.

هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين، اتكالا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال.

أما لقرينة لفظية أو معنوية، فالأولى: كما تقول: رأيت شخصين ضاحكا وعابسة، فتأنيث عابسة دل على أن الشخص العابس هي المرأة والضاحك هو الرجل، والثانية: كما تقول: لقيت الصاحب والعدو فأكرمت وأهنت.

كأن نقول: «طلعت الشمس وبزع القمر نهاراً وليلاً»

أي: طلعت الشمس نهاراً، وطلع القمر ليلاً.

ونقول: «عَمَّ السَّحَابُ والسَّيْلُ السّماءَ والواديَ»

أي: عَمَّ السَّحَابُ السّماءَ وعَمَّ السَّيْلُ الواديَ.

ونقول: «عاد الْفُرْسَانُ والْجُنْدُ والأَسْرَى مُقَيّدِين ورجالاً ورُكْبَاناً»

أي: فالْفرْسَانُ عادوا ركبانا، والجندْ عادوا رجالاً، والأسْرَى جاءوا مقيّدين.

أنواع اللّف والنَّشْر:

1- اللّف والنَّشْر المرتَّب:

كقوله تعالى: {وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الليل والنهار لِتَسْــكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة القصص: 73]

فقد جاء اللّفُّ بعبارة {جَعَلَ لَكُمُ الليل والنهار} إذْ جُمع اللَّيْلُ والنهار بحرف العطف. وجاء النشرــ وفق توزيع مرتب، فعبارة: {لِتَسْــكُنُواْ فِيهِ} تتعلّق باللّيل، وعبارة: {وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْــلِهِ} أي: كسْــبَ أرزاقكم، تتعلّق بالنهار، مع الإشــارة بهذا الجمع إلى احتمال أن يسـكن بعض الناس في النهار ويبتغي كسـب رزقه من فضـل الله في اللّيل، لكن هذا خلاف ما هو الأصلح للناس بمقتضى تكوينهم الفطري.

وكقول ابنْ حَيُّوس:

فِعْلُ الْمُدَامِ[1] ولَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا ... فيِ مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ

(1)- الْمُدام: الخمر.

فأورد النشرــ على ترتيب اللّف، إذْ فِعْلُ الْمُدام في مُقْلَتَيْه[1] إسـكار، ولونُها في وجنتيه[2] حُمْرةٌ، ومذاقُها في رِيقِهِ لذّة.

وكقولُ ابن الرومي:

آرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وسُيُوفُكُمْ ... في الْحَادِثَاتِ إِذْ دَجَوْنَ[3] نُجُومُ

فِيها مَعَالِمُ لِلْهُدَى. ومَصَابِحٌ ... تَجْلُو الدُّجَى والأُخْرَيَاتُ رُجُومُ

جاء اللّف في قوله: «آراؤُكم ووُجُوهكم وسُـيُوفكم» وجاء النشرــ وفْقَ توزيع مرتب، فقوله: «فيها معالم للهدى» وصفٌ للآراء. وقولُهُ «ومَصَابِح تَجْلُو الدُّجَى» وصف للوجوه. وقوله: «والأخريات رُجُومُ» وصْفٌ للسُّيوف.

2- اللّف والنَّشْر غير المرتَّب:

كقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَـةً لِتَبْتَغُواْ فَضْـلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّـنِينَ وَالْحِسَـابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّـلْنَاهُ تَفْصِـيلاً} (12) سورة الإسراء

فقد جاء اللف في قوله: «فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ»، غير أنه لم يرتب النشرــ على ذلك، فذكر «لِتَبْتَغُواْ فَضْـلاً» وهو خاص بالثاني، وذكر «عَدَدَ السِّـنِينَ وَالْحِسَابَ» وهو خاص بالأول.

وكقول ابن حيُّوس:

كَيْفَ أَسْلُو[4] وأنْتِ حِقْفٌ[5] وَغُصْنٌ ... وغَزَالٌ لَحْظاً وَقَدّاً وَرِدْفاً

فاللّفّ المفصّل في قوله (حِقْف - غُصْن - غزال).

وجاء النشرــ على عكس ترتيب اللَّف، إذ اللّحظ للغزال، والْقَدُّ لِلْغُصْـنِ، والرِّدْفُ للحِقْف.

---

(1)- مُقْلَةٌ - ج: مُقَلٌ. [م ق ل]. "مُقْلَةُ العَيْنِ": شَحْمَةُ العَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُ السَّوَادَ والبَيَاضَ. "فِي مُقْلَتِهِ احْمِرَارٌ".

(2)- وَجْنَةٌ - ج: وَجَنَات. "عَلَتِ الْحُمْرَةُ وَجْنَتَهُ": مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْخَدَّيْنِ.

(3)- دَجَوْنَ: أي: أظْلَمْنَ.

(4)- سلا عنه : نسِيَه ، وطابت نفسُه بعد فراقه

(5)- وهو الرمل العظيم المستدير.

11- التقسيم

تعريفُه: هو ذكرُ مُتعددٍّ، ثمَّ إضـافة ما لكلٍّ من أفراد هذا المتعدِّد إليه على جهةِ التعيينِ.

وهو يشـبه اللّف والنشرـ، ولكنّه يفترق عنه في أنَّ التقسـيم يكون بالتعيين، أما اللّف والنشر فيكون بلا تعيين، ويعتمد فيه على ذكاء المخاطَب وفطنته.

قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}. (سورة الحاقة: 4، 5، 6)

فالآية الكريمة ذكرت «ثَمُود» و«عَاد»، وقسـمت الهلاك لكل منهما لتكذيبهما القيامة، فأهلكت الأولى بالطاغية، أي بالصيحة الشديدة، وأهلكت الثانية بريح قوية.

أنواع التقسيم:

الأول: أن تذكر أحوال الشيء مُضافاً إلى كل واحد منها ما يليق به.

قال تعالى: {أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} (9) سورة سبأ

فقد ذكرت الآية متعدداً «السَّمَاء» و«الْأَرْض»، ثم قسَّمته وأعادت على كل واحد منهما ما يليق به، فأرجعت الخسـف إلى الأرض، وإسـقاط الكِسـف إلى السـماء، وهي إعادت من جهة التعيين كما هو ملاحظ في الآية الكريمة.

وكقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«أَحْسِنْ إِلَى مَنْ شِئْتَ تكُنْ أَمِيرَهُ، واسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَه، واحْتَجْ إلى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ».

فإنه اسـتوعب أقسـام الدرجات، وأقسـام أحوال الإنسـان بين الفضـل والكفاف والنقص مع الإضافة إلى كل حال ما يلائمها ويليق بها.

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي يعتذر إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا ... شرّا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا

فقد أضـاف إليهم إخفاء الخير إذا سـمعوا خيراً، وإذاعته إن كان شراً، وأضـاف إليهم الكذب إن لم يسمعوا شيئاً.

قال الشاعر:

أَدِيبانِ في بَلْخَ لا يَأْكُلانِ ... إذا صَحِبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبِدِ

فَهَذَا طَوِيلٌ كَظِلِّ القَنَاةِ ... وهَذَا قَصِيرٌ كَظِـلِّ الْوَتَدِ

فقد وصف الطويل بأنه كظل الرمح، ووصف القصير بأنه كظل الوتد.

الثاني: أن تُستوفى أقسام الشيء بالذكر. وهذا النوع الكثير في الكلام.

قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْـطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِـهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (32) سورة فاطر

فقد ذكرت الآية العباد الذين اصـطفاهم الله تعالى، ثم قسَّـمتهم إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه بالكفر، ومقتصد، وهو المتوسط في فعل الطاعات، وسابق، وهو المكثر من الخيرات.

وقال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَـآءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَـآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}. سـورة الشورى: 50، 51.

فقد ذكرت الآية اقسـامَ أحوالِ مَنْ يُولَدُ لهم: فإمّا أن تكون الذّرّية من الإناث، وإمّا أن تكون من الذكور، وإمّا أن تكون من الصـنفين، وإمّا أن يكون الإنسـان عقيقاً لا يُنْجب.

12- الاقتباس

تعريفه في اللغة: الأخذ والاستفادة.

تعريفه في الاصطلاح: «فهو أن يضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه»[1].

فالاقتباس هو أخذ نصٍّ من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، وإدخاله بلفظه في الشعر أو نثر، ويجوز أن يغيّر في النصّ المقتبس لينسجم مع السياق، ويرى بعض البلاغيين أنّ الاقتباس مقصور على القرآن الكريم وحده، غير أن البلاغيين المتأخرين حرصوا على إضافة الحديث النبوي الشريف.

- الغرض البلاغي للاقتباس:
  1. تقوية الكلام.
  2. تزيين الكلام من جهة الالفاظ والمعاني.
  3. تحسين تأليف الكلام ونظمه.
- الاقتباس من القرآن الكريم:

قال الحريري: «فلم يكن إلّا كلمح البصر أو هو أقرب، حتّى أنشد فأغرب»

فالحريري اقتبس جزءا من سورة النحل {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} [النحل: 77].

قول ابن سَنَاء الْمُلْك:

رَحَلُوا فَلَسْتُ مُسَائِلاً عَنْ دَارِهِمْ ... أنا "بَاخِعٌ نَفْسِي عَلَى آثَارِهِمْ"

مقتبس من قول الله عزَّ وجلَّ لرسوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} [الكهف: 6]

وقال القاضي الفاضل وقد ذكر الإفرنج «وغضبوا زادهم الله غضبا، وأوقدوا نارا للحرب جعلهم الله لها حطبا» فاقتبس جزءا من الآية من سورة المائدة {وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ} [المائدة: 64].

---

(1)- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (1/ 125).

- الاقتباس من الحديث الشريف:

قول أبي جعفر الأندلسيّ:

لَا تُعَادِ النَّاسَ في أَوْطَانِهِمْ ... قَلَّمَا يُرْعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ

وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشاً بَيْنَهُمْ ... "خَالِقِ النَّاسَ بُخُلْقٍ حَسَنِ"

الشطرة الأخيرة مأخوذة من أقوال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]

قول الصاحب بن عباد أيضاً:

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ سَحَابَا ... مِنَ الْهِجْرَانِ مُقْبِلَةً إِلَيْنَا

وَقَدْ سَحَّتْ غَوَادِيهَا بِهَطْلٍ ... "حَوَالَيْنَا" الصُّدُودُ "وَلَا عَلَيْنَا"

مقتبس من دعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا"[2].

13- التضمين

تعريفه:

التضـمين لغة: جاء في اللسـان (ضـمن): «ضَـمَّنَ الشيـءَ الشيـءَ: أَوْدَعه إِياه كَمَا تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ»[3].

التضمين اصطلاحا: هو أن يُضْمِّنُ الشاعر شعرَه شيئاً مِنْ شعْرِ غَيْرِه، مع التنبيه عليه إنْ لم يكن مشهوراً عند الْبُلَغاء، ودون التنبيه عليه إنْ كان مشهوراً.

الغرض من التضمين:

تقوية الكلام وتحسـينه، وأشـار السـيوطي إلى هذا النوع البديعي وبلاغته فقال: «إِدْرَاجُ كَلَامِ الْغَيْرِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ لِقَصْدِ تَأْكِيدِ الْمَعْنَى، أَوْ تَرْتِيبِ النَّظْمِ»[4].

* **ومن هذا التضمين** قول الحريري:

عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي ... "أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَىً أَضَاعُوا"

---

(1)- مسند أحمد (36/ 380)، برقم «22059».

(2)- مصنف عبد الرزاق (3/ 369) برقم «5049».

(3)- لسان العرب (13/ 257).

(4)- الإتقان في علوم القرآن (3/ 309).

الشطر الأخير لِلْعَرْجِي (هو: عبد الله بن عمر بن عمرو ابن عثمان الأموي القرشي العرجي)، وبيت العرجى هو:

أضاعوني وأَيَّ فَتىً أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

وقد نبَّه الحريري على التضمين بقوله: "**سأُنْشِد**".

وقد يكون التضمين بيتاً كاملاً أو أكثر، ويُسمّى هذا (الاستعانة).

ومثاله: قول ابن العميد:

وَصَاحِبٍ كُنْتُ مَغْبوطاً بِصُحْبَتِه ... دَهْراً فَغَادَرَنِي فَرْداً بِلَا سَكَنِ

هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إِقْبَالٍ فَطَارَ بِهَا ... نَحْوَ السُّرُور وَأَلْجانِي إِلَى الْحَزَنِ

كَأَنَّهُ كَانَ مَطْوِيّاً عَلَى إِحَنٍ ... وَلَمْ يَكُنْ فِي ضُرُوبِ الشِّعْرِ أَنْشَدَنِي

"إِنَّ الكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا ... مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ"

البيت الأخير لأبي تمَّام، وقد نبّه ابن العميد على التضـمين بقوله: "ولم يكن في ضروب الشِّعْرِ أَنْشَدَني"».

وقد يكون المضمَّن مصراعاً أو جزءا منه، ويُسمّى هذا (الإيداع) أو (الرَّفو).

ومثاله: قول ناصح الأرجاني:

مضت ومضوا عنّي، فقلت تأسفاً ... قفا نبكِ من ذِكْرَى أُناسٍ وأزمان.

فقد ضمّن بيته بعض مصراع مطلع معلقة امرأ القيس (قفا نبك).

ومن أمثلة تضمين المصراع كاملاً قول لسان الدين الخطيب:

أو مرَّ عنترةٌ عليها لم يَقُلْ ... هل غادرَ الشعراءُ الدارَ بعد توهُّمِ

الشطر الثاني مضمَّنٌ من بيت عنترة المشهور:

هَلْ غَادَرَ الشّعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ؟ ... أَمْ هَلْ عَرَفتَ الدّارَ بَعدَ تَوَهّمِ؟

14- التلميح

تعريفه: هو أن يُشار في فحوى الكلام إلى مثلٍ، أو شعر، أو قصة مشهورة من غير أن يذكره.

مثاله: قول أحمد شوقي:

شَيَّعوا الشَمسَ وَمالوا بِضُحاها ... وَاِنحَنى الشَرقُ عَلَيها فَبَكاها
لَيتَني في الركـــــــبِ لَمّا أَفَلَت ... يوشَــعٌ هَمَّت فَنادى فَثَناها

فقد أشـار إلى قصـة يوشـع عليه السـلام الذي قتل الجبارين يوم الجمعة، فلما خاف مغيب الشـمس قبل أن يفرغ من قتالهم، دعا الله تعالى فردَّ له الشـمس حتى فرغ من القتال.

ومن أمثلته أيضاً قوال أبي تمام:

لَعَمْرٌو مَعَ الرَمْضَاءِ وَالنَارُ تَلْتَظَى ... أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الكَرَبِ

فقد ألمح إلى البيت المشهور الذي يضرب به المثل، وهو:

اَلْمُسْتَجِيْرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ ... كَالْمُسْتَجِيْرِ مِنَ الرَمْضَاءِ بِالنَارِ

15- العقد

تعريفه:

هو أن يُنظم نثرٌ لا على طريق الاقتباس.

مثاله: قول أبي العتاهية:

ما بالُ مَنْ أوَّلُهُ نُطْفَةٌ ... وجِيْفَةٌ آخِرُهُ يفخَرُ

فقد نظم قول الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه: (وما لابن آدم والفخر، وإنّما أوّله نطفة، وآخره جيفة).

16- الحلُّ

تعريفه: هو أن ينثر نظم.

ومثاله: قول بعض المغاربة: (فإنّه لمّا قبحت فعلاته، وحنظلت نخلاته، لم يزلْ سوءُ الظنّ يقتاده، ويصدّق توهّمه الذي يعتاده).

فقد حلّ به بيت المتبي:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

17- الأرصاد

تعريفه:

وهو أن يجعل قبل العَجُزِ من الفقرة أو من البيت ما يدلُّ على العَجُزِ إذا عرف الرويّ.

ويسمّيه بعضهم: التّسهيم.

فالإرصـاد هو أسـلوب بلاغي بواسـطته يمكن معرفة الكلمة الأخيرة من البيت أو المقطع النثري، فهو يدل على قوة التأليف وتلاحم أجزاء الكلام، كما يدل على قوة البلاغة والتمكُّن من اللغة.

ومثاله: قوله تعالى: {وَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَــهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: 40].

فإن المتلقي يتوقع كلمة (يظلمون) قبل أن تُذكر، لأن ما قبلها من كلام يدل عليها ويتطلّبها.

ومثاله في الشعر قول عمرو بن معد يكرب [الوافر]:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شيئاً فَدَعْهُ ... وجَاوِزْهُ إلَى مَا تَسْتَطِيعُ

فكلمة "تَسْــتطيعُ" يأتي بها السّــامع قبل أن ينطق بها المتكلّم، لأنّ أوّل الكلام موطِّئٌ وممهّد لها، وفيه ما يشير إليها كإشارة السَّهمِ إلى الجهة المقصودَة.

تمارين:

1 - دلّ على الإرصاد واشرحه في ما يأتي:

1 – {ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس: 14].

2 – {فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَــفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَــهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: 40].

3 – {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} [العنكبوت: 41].

4 - هي الدّرّ منثورا إذا ما تكلّمت ... وكالدّرّ منظوما إذا لم تكلّم

5 - ضعائف يقتلن الرّجال بلا دم ... ويا عجبا للقاتلات الضعائف

6 - سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا- لا أبا لك- يسأم
7 - أبكيكما دمعا ولو أنيّ على ... قدر الجوى أبكي بكيتكما دما
8 - إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع
9 - وكنت إذا سألت القلب يوما ... تولّى الدّمع عن قلبي الجوابا
10 - حببتك قلبي قبل حبّك من نأى ... وقد كان غدّارا فكن أنت وافيا
11 - طواه الرّدى عنّي فأضحى مزاره ... بعيدا على قرب قريبا على بعد
12 - ألام لما أبدي عليك من الأسى ... وإنيّ لأخفي منك أضعاف ما أبدي
13 - ضممت جناحيهم على القلب ضمّة ... تموت الخوافي تحتها والقوادم

18- مراعاة النظير

أسماؤها:

من أسـمائها الواردة في كتب البلاغة: التناسـب، والائتلاف، والتوفيق، والتلفيق، والمؤاخاة، ولكن معظم البلاغيين يسمّونه (مراعاة النظير).

تعريفه:

هم جمع أمرٍ وما يناسبه لا بالتضاد.

أي: أن يأتي المتكلم بألفاظ متناسبة بينها ائتلاف وقرب، وعكس مراعاة النظير: **التنافر**.

مثاله: قوله تعالى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ} [الرحمن: 5].

فجمع في الآية بين **الشمس** و**القمر** وهما متناسبان لتقارنهما في الخيال، وكونهما كوكبين سماويين.

ومن أمثلته في الشعر قول ابن رشيق:

أصح وَأقوى مَا سمعناهُ فِي الندى ... من الْخَبَرَ الْمَأْثُور مُنْذُ قديمٍ
أَحَادِيث ترْوِيهَا السُّيُول عَن الحيا ... عَن الْبَحْر عَن كف الْأَمِير تَمِيم

فقد ناسب الشاعر في البيت الأول بين (**الصحة** و**القوة**) و(**السماع** و**الخبر**) و(**الأحاديث** و**الرواية**)، كلها ألفاظ مأخوذ من معين واحد هو (علم الحديث).

وناسـب في البيت الثاني بين (السـيل والحيا)، و(المطر والبحر)، وهي ألفاظ مأخوذ من عالم الماء، فجاء مترابط الأجزاء.

19- تشابه الأطراف

وهو من جنس مراعاة النظير.

تعريفه: وهو أن يُختَم الكلامُ بما يناسبُ ابتداءه في المعنى.

ومثاله قوله تعالى: {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 103]

فعبارة {اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} تناسب ما ذُكر قبلها، لأن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك حقائق الأشياء، فكانت خاتمةُ الآية مناسبة لأولها، وسُمّي هذا بتشابه الأطراف.

ومن ذلك قوله تعالى: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118].

فنهاية الآية {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} متناسبة مع أولها؛ لأن الذي يملك القدرة على عقاب المذنبين والعفو عنهم هو الذي يوصف بالعزة، وأما (الحكمة) فتكون بوضع الشيء في مكانه المناسب، والحكيم هو الذي يحسن التصرف في الأمور، فاجتماع العزة مع الحكمة هو من الكمال الذي يُوصف به الله سبحانه وتعالى.

20- التجريد

تعريفه:

التجريد في اللغة:

هو إزالة الشيء عن غيره في الاتصال، فيقال: جرّدت السيف عن غمده، وجردت الرجل عن ثيابه، إذا أزلتهما عنهما.

التجريد في الاصطلاح:

للتجريد مفهومان مختلفان أشار إليهما البلاغيون:

النوع الأول: أن يُنتزعَ من أمرٍ ذي صفةٍ أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في المنتزع منه.

مثاله: قولك عن الرجل الكريم: **لئن سألتَ فلاناً لتسألنّ به البحر**.

فقد رأيت فلاناً الكريم، فكأنما تجرّد أمامك في صورة البحر، فقد انتزعت من أمر- وهو هنا **الرجل الكريم**- أمراً أخر- هو هنا **البحر**- وذلك للمبالغة في المدح والثناء.

وهذا النوع البديعي هو في حقيقته تشبيه- حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

وتأتي هذه الصورة من التجريد بوساطة ثلاثة حروف للجر هي (من، في، الباء)، وذلك كقولك: إذا رأيت فلاناً رأيت منه الأسد.

- إذا رأيت فلاناً رأيت فيه الأسد
- إذا رأيت فلاناً رأيت به الأسد

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: {لهم فيها دار الخلد} [فصلت: 28].

فالمقصود أن جهنم نفسها هي دار الخلد، وليس أنه يوجد فيها دار للخلد، فقد انتزع صفة منها من أجل المبالغة في التخويف والترهيب.

ومن أمثلته في الشعر قول الشاعر:

إذا ما تأملته مقبلا ... رأيت به جمرة تشتعل.

فليس المراد أن به جمرة تشتعل، وإنما هو يشبه الجمرة المشتعلة، فهذا تجريد بواسطة حرف (الباء) للمبالغة في الوصف.

النوع الثاني: إخلاص الخطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه.

مثاله: قول الأعشى:

وَدِّعْ هُرَيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّها الرَّجُلُ

فالشاعر هنا يخاطب شخصاً آخر يطلب منه أن يودّع هريرة، وهو في الحقيقة يخاطب نفسه.

ولهذا النوع البلاغي فائدتان:

الأولى: طلب التوسع في الكلام.

الثانية: أن يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره عل نفسه، إذ يكون مخاطباً بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العُهدة فيها يقوله، غير محجور عليه.

21- المذهب الكلامي

تعريفه: وهو إيرادُ حجةٍ للمطلوبِ على طريقة أهل الكلام.

فهو استعمال الأدلة العقلية على طريقة أهل الكلام والفلاسفة، ولذلك سمّاه بعضهم (المحاجّة)، و(الاحتجاج النظري)، و(التقرير الجدلي)، و(إلزام الخصم)، ولكنه اشتهر عند البلاغين بالمذهب الكلامي.

وأكثر البلاغيين يعدُّون المذهب الكلامي من المحسنات المعنوية، غير أن السُبكي رأى أنه تطبيق على مقتضى الحال، فيكون من علم المعاني.

ومن أمثلة المذهب الكلامي في القرآن الكريم قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22].

ومعنى الآية أن وجود إله ثانٍ يؤدّي إلى الفساد، بسبب اختلاف الآلهة في الأمر والنهي، فهذا الدليل يثبت للعقل استحالة وجود أكثر من إله واحد للكون، وسُمي الدليل (دليل التمانع).

وقد يكون الدليل منطقياً قطعي الاستلزام كما في قوله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي العظام وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الذي أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 78 - 79].

فقد جاء الدليل العقلي واضحاً للمعاندين المنكرين للبعث، فعن قياس إحياء العظام بعد أن بليت بخلقها أول مرّة، يمكن استنتاج أن الخالق سبحانه وتعالى قادر على إعادة الحياة إلى تلك العظام البالية، فهو العليم بكل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء.

22- تأكيد المدح بما يُشْبِه الذم

1 - مكتشفه:

أوّل من اهتدى إلى هذا الضرب من البديع عبد الله بن المعتز.

وقد سمّاه أبو هلال العسكري بـ (الاستثناء):

غير أن تسمية ابن المعتز هي التي شاعت فيما بعد لأنّها أكثر انسجاما مع المعنى.

2 - نوعاه:

أ- أن يستثنى من صفة ذمّ منفيّة عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها.

نحو قول ابن الرومي (السريع):

لَيسَ بِهِ عَيْبٌ سِوَى أنّه ... لا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى مِثْلِهِ

بدأ ابن الرومي مدحه بأن نفى كلّ عيب عن الممدوح عند ما قال «**ليس به عيب**»، ولكنه أتبع هذا المدح بلفظ الاستثناء (سوى)، فأوهم السامع أنه تراجع عن تبرئة الممدوح من كل عيب، وأنّه سيكاشفه بعيب اكتشفه فوجب ذكره. غير أن ابن الرومي خدع سامعه حين أورد بعد الاستثناء مدحا يفوق المدح الأول، ويؤكده حين قال: «لا تقع العين على شبهه» فهو مبرّأ من كل عيب، ولن ترى العين شبيها له في كماله.

ب- أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.

نحو، قول النابغة الجعدي (الطويل):

فَتًى كَمَلَتْ أخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فَمَا يُبْقَي مِنَ المَالِ بَاقِيَا

فالشاعر بدأ بيته بصفة ممدوحة هي «**كمال أخلاق الفتى**»، ولكنّه أتى بعدها بلفظ الاستثناء (**غير**)، فدهش السامع وتوقّع أن يذكر الشاعر ما يناقض الكمال الذي استهلّ البيت بذكره. لكنّ الشاعر لم يفعل ذلك، بل أتى بعد الاستثناء بصفة ممدوحة أخرى، وهي «**جواد**» وفصّلها بقوله: فما يبقي على المال باقيا. وفي ذلك توكيد للمدح الأوّل

23- تأكيد الذم بما يشبه المدح

هو أسلوب شبيه بالأسلوب السابق. وهو نوعان:

أ- أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذمّ بتقدير دخولها فيها.

نحو: فلان لا خير فيه إلّا أنه يسيء إلى من يحسن إليه.

فصفة المدح (خير) في فلان منفيّة بـ (لا)، وقد استثني من هذه الصفة الممدوحة المنفيّة صفة ذم (الإساءة إلى من يحسن إليه) وهي داخلة في الصفة المنفية.

ب- أن يثبت للشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له.

نحو: فلان فاسق إلّا أنّه جاهل.

فصفة الذم (فاسق) مثبتة غير منفيّة أتي بعدها بأداة الاستثناء (إلّا) ثم تليت أداة الاستثناء بصفة ذم أخرى هي (جاهل)

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

1- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عربشـــاه عصـــام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـــــ)، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

2- بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية: ابن عبد الله أحمد شـــعيب، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1429 هـ- 2008 م.

3- البلاغة العربية أســـسـها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشـــق، الدار الشامية- بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ- 1996 م.

4- البلاغة العربية- مقدمات وتطبيقات: د. بن عيسىـــ با طاهر، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2008 م.

5- البلاغة الميسرة: د. عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، 1432 هـ- 2011 م.

6- البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع): د. فضـــل حســـن عباس، دار الفرقان، الطبعة الثامنة، 2005م.

7- تسهيل البلاغة: فيصل بن عبدة قائد الحاشري، دار القمر- دار الإيمان، 2006 م.

8- تيسير البلاغة (علم البديع): د. أسامة البحيري، كلية آداب جامعة طنطا، 1427 هـ- 2006 م.

9- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت.

10- دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة: الأزهر الزناد، المركز الثقلفي، الطبعة الأولى، 1992 م.

11- علم البديع: د. محمود أحمد حســـن المراغي، دار العلوم العربية- بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ- 1991م.

12- علم البيان: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية- بيروت، 1405 هـ- 1985 م.

13- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع): أحمد مصـــطفى المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ- 1993 م.

14- فن البديع: د. عبد القادر حسين، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1403 هـ- 1983 م.

15- الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني): أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية- القاهرة، الطبعة الحديدة.

16- مدخل إلى البلاغة العربية (البيان والمعاني والبديع): د. يوسـف أبو العدوس، دار الميسرـة، الطبعة الأولى، 1427 هـ- 2007 م.